الآثار التاريخية

في منطقة جازان

تأليف

محمد بن احمد العقيلي

الطبعـــة الأولى
١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن من أصدق الوثائق وأثبت المصادر ، التي أفرزتها الأزمنة السحيقة والآماد البعيدة الموغلة في أبعاد التأريخ وأعماق الزمن هي آثار تلك العصور ومخلفات تلك الأمم .

إن دراساتها دراسة علمية تزود الباحث بمعرفة ذلك الماضي وأحوال أهله ودرجات حضارته ومكانتهم في سلم التطور البشري .

في تلك الآماد السحيقة وفي بدء طفولته البشرية في عصر إنسان الكهوف وما قبله قبل معرفة رسم الكتابة كان الرسم البدائي هو الخطوة الأولى لبدء تسجيل خطواته على الصخور ، وبعد ارتقائه واكتشافه أو اختراعه الحروف بدأ تسجيل تأريخه على الصخور والمسلات وجدران المعابد ، ومن تلك النقوش المكتوبة أو أطلال المباني أو بقايا مخلفات السكان من فخار وأسلحة وحلي وغيره تكونت المادة الأولى لمادة التأريخ التي أماطت اللثام وكشفت بعض أحوال المجتمعات القديمة ومبلغ ما أسهمت به في بناء صرح الحضارة والرقي البشري .

لم تكن العناية بالآثار قد أخذت طريقها إلى الأفكار والعقول

كعلم من أحفل علوم التأريخ وهواية عليا للثقافة الإنسانية والحضارة البشرية قبل القرن الخامس عشر الميلادي — القرن العاشر الهجري .

وما سجل في التأريخ القديم والحضارات البائدة والمعارف التي سبقت إليها تلك الأمم ومع تقدم العناية ورقي الوعي العلمي رأي العلماء الغربيون ما للكتابة الأثرية والنقوش القديمة بصفتها الوثائق الصحيحة للتأريخ القديم فتأسست في باريس في سنة ١٦٦٣ م أول (أكاديمية) للآداب والنقوش الأثرية ، وتزايد اهتمام المعنيين بكل ما يمت بصلة إلى الحضارات السابقة والتأريخ القديم والأمم البائدة ، ويقال : إن الإنكليز كانوا من أوائل من اهتموا بتلك العلوم فقد قامت جمعية علماء الآثار في لوندرة في ١٥٧٢ ومن أهم ما عنيت به إحياء التأريخ القديم وحفظ الآثار ووالت نشاطها حتى حُلَّتْ سنة ١٦٠٤ ثم أعيد تكوينها ثانية سنة ١٧١٧ .

أما بروز تكون مظاهر الاهتمام الإنساني للاحتفاظ بالآثار وشيوع ذلك فقد نشأ في القرن الخامس عشر ، فأول ما عرف في إيطاليا وتلتها فرنسا . . في إيطاليا دفع الشغف العلمى ومظاهر الإهتمام بالآثار بعض البابوات للأمر بالحفر في بعض الأماكن الأثرية فأسفر الحفر عن العثور على بعض التماثيل والنقوش فأحدثت تأثيرها في الناس .

ومن بعد ذلك نمت الهواية بالآثار والعناية حكوميا وشعبيا بالتأريخ القديم ومخلفاته ، وزاد الشغف العلمي بالحضارات البائدة

وتكونت البعوث بتشجيع حكومات الغرب وهباتهم ومعاونتهم المادية والأدبية حتى أصبح علم الآثار في وقتنا الحاضر علماً من علوم التاريخ تخصص في مجاله عدد من العلماء في كل فروعه في كل دولة من دول العالم .

وقد اكتشف من أول هذا القرن إلى هذا التاريخ من الآثار التاريخية ما أضاء التاريخ القديم لكثير من الأمم والشعوب .

وبعد : فهذا حصيلة مجهود تمتد مدته من سنة ١٣٨٣ إلى سنة ١٣٩٧ هـ — أي أربعة عشر عاماً — فإن وفقت فهذا من توفيق الله سبحانه وتعالى وإن أخفقت فليس على مجتهد ملام .

لقد تجشمت الكثير من المتاعب والمشاق وتحملت من النفقات ما أرجو أن يخلفه الله سبحانه ، وأرى أن كل ما قمت به وما بذلته ما هو إلا بعض ما يجب للعلم وما هو حق للوطن على المواطن ..

وأرجو أن أكون بعملي الفردي قد وضعت الصُّوَى والأعلام على طريق الباحثين الأثريين وأجيال المستقبل في هذا الجزء العزيز من مملكتنا الفتية الناهضة ... ؟

تحريراً فى ١٠/١٠/١٣٩٧ هـ

المؤلف

محمد أحمد العقيلى

عُليّـَان

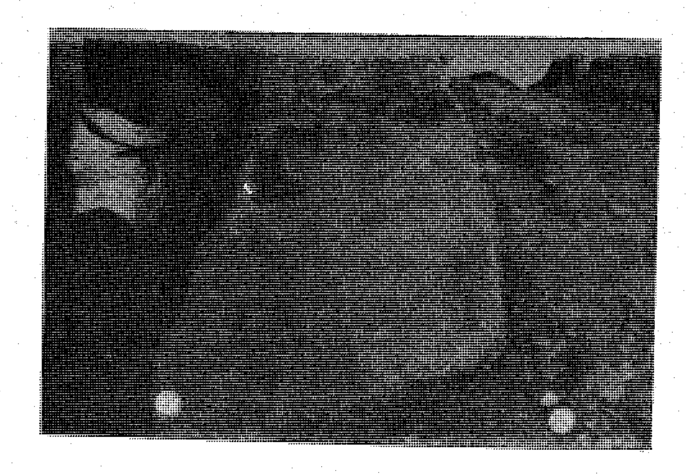
بضم العين : موضع في شرق منطقة صبيا ، علمت أن في ذلك الموضع حفرة بها بعض الأحجار .. فقلت : لعلي أكتشف أثراً أو نقشاً تأريخياً يلقي بصيصاً من نور على ماضي جزيرتنا العربية .

فشديت الرحال — كما يقال — أو بالأصح ركبت سيارتي التي لا أبالي بتلفها أو أحفل بخرابها في سبيل البحث التأريخي أو الكشف الأثري أو الحصول على نص أدبي أو وثيقة أو أي شيء يمت إلى العلم والأدب .. ووصلت إلى المكان فأقبل إلي شخص من سكانها وقال : (حيَّ الله العقيلي مجيء غريب .. ؟ وحزّه مباركة .. ؟ أرحب حياك الله) فقلت له مشكوراً: وما أنت بمجرَّب ، وأخبرته قصدي . وبقدر ما حاول — مشكوراً النزول في بيته فقلت له أولاً : أريد حفرة قريبة من محلكم فيها حجران فقال : أبشر.. وأوقفنا على حفرة أشبه ما تكون بمحجر لاستخراج الحجارة وإذا حجر بجانبها منقوش بكتابة قديمة ، فنزلت بكل مشقة واستعنت بمن رافقني في إزالة بعض الأتربة حول الحجر وأزحت ما علق به من طين حتى ظهرت الكتابة نسبيا فقمت بتصويره من عدة جهات كما ترى في الصور المنشورة بهذا الكتاب .

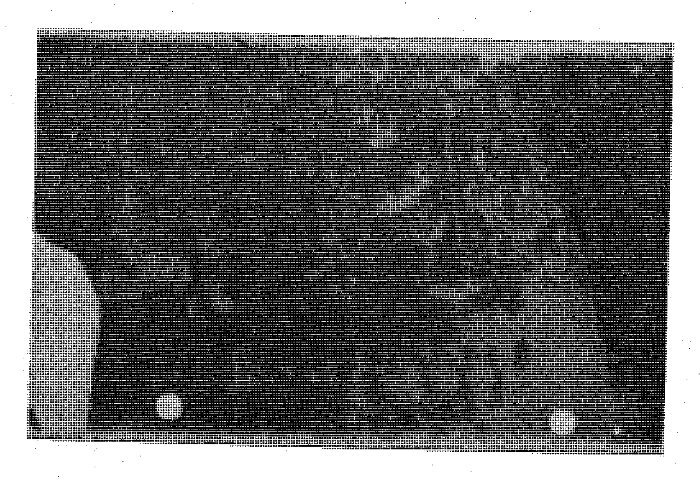
---

(١) « الحزة » الساعة والوقت : كلمة عربية فصيحة ؛ وقد تؤنث ، وقد لا تؤنث قال أبو ذوئيب .

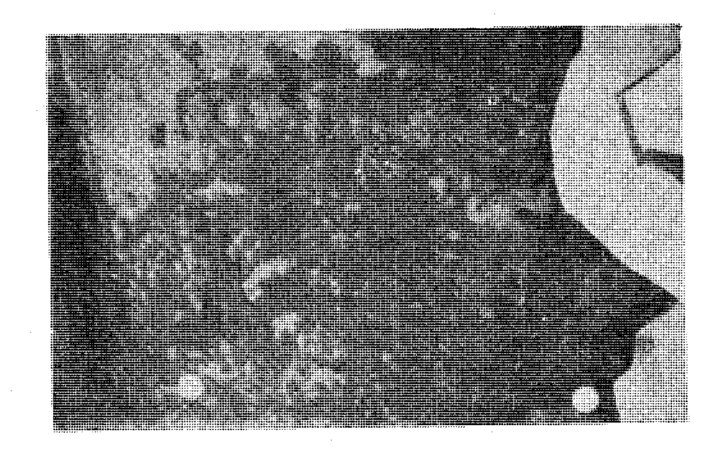
حتى إذا حرزت مياه رزونــه   وبأرى حز ملاوة تتقطع



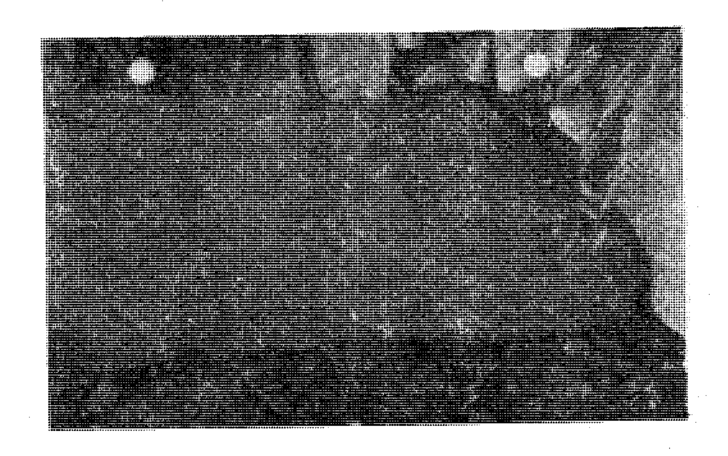
« صورة لحجر مكتشف قبل إزاحة ما علق به »



« صورة للحفرة موجود بها الحجر مكتوب قرب الحلة التى شمال شرق الحسينية »



« حجر عليـــان »



« صورة جانبية للحجر بعد إزالة ما علق به »



« صورة أفقية للحجر »

النقوش الأثرية فى أعلى وادى ضمـــــد

جنوب شرق الحمى في شمال مجرى الوادي كتل من حجارة صلدة سوداء عليها نقوش قديمة ، وتلك النقوش تتكون من جمل قصيرة متفرقة نقشت نقشاً محفوراً على تلك الصخور الصلدة وبعض كتابة علامات غريبة الشكل ، وقد اكتفيت بنقل النقوش نقلا حرفياً بقدر ما سمح به الجهد والوقت الضيق .

جبـــــل المقعــــــد

من القعود ضد القيام بصيغة اسم المكان : جبيل على شاطىء البحر بشكل شبه قوس بسيط الانحناء ظهره مكسو بطبقة رملية خفيفة ووتره من الناحية الغربية أما الجانب الداخلي من شبه القوس فهو من الصخور والحصى والتراب ما عدا رأسي أو طرفي القوس فهما من الصخور والتراب . وبه شعاب — جمع شعب بكسر الشين — بسيطة تكونت من مجاري مياه الأمطار أكبرها شعب في وسط الجبيل يدفع في الزاوية الشمالية الغربية .

يمتد الجبيل من الجنوب إلى الشمال مسافة ٣٠٠ متر تقريباً فى ارتفاع مسطحه ٢٠٠ متر — تقريباً — يحيط به البحر على أبعاد متفاوتة من أغلب الجهات ، ما عدا الجهة الشرقية .. وأقرب جهاته إلى البحر رأس الجبيل الشمالي . وهي لا تبعد عن الشاطىء إلا بنحو ثلاثين متراً تقريباً .

من الشائع المتداول أن الجبيل به معدن تبر وقد . أخبرنى السيد عبد الله بن غريب بأنه عثر فيه غير مرة على حصى يشع بالتبر وأراني بعضها فعلا . . .

ولا توجد آثار ظاهرة للعيان في أنحاء الجبيل ما عدا شبه آثار رصيف أو سكة طريق مرصوف يمتد من ناحية الجبيل إلى البحر فإذا صح ذلك فقد تكون بنيت لتسهيل شحن حصى التبر بحراً في أزمنة متقادمة .

كما توجد بعض حفر مردومة بالأتربة شبه محاريق الجبس البدائية وقد يكون غير ما ذكرت وإنما ضيق الوقت الذي لم يتعد ساعتين لم يمكنني من الفحص والكشف الدقيق ...

❋ ❋ ❋

المنجارة

بعد عصر يوم الأربعاء الموافق ٩ محرم سنة ١٣٨٤ خرجت كعادتي للتنزه و كانت وجهتي هذه المرة كثيب المنجارة .

قطعت الكثيب عرضاً من الجنوب إلى الشمال ثم اتجهت بمقود السيارة غرباً تحت حافة الكثيب مباشرة من الشرق إلى الغرب .. ولقد لفت نظري سابقا بعض الآثار الدارسة من أساسات مباني من الآجر المحروق واحتفظت ببعضه وهو نوع من الآجر يبدو غريباً على جهاتنا في شكله ومقاسه طول ٤٥ × ٤٠ س م كما رأيت بعض كسر من الفخار .

وفى تلك الليلة دفعنى حب البحث إلى تخفيض سرعة السيارة وأخذت فى التطلع نحو حافة الكثيب الشمالية حتى لامسته مباشرة ، وهذا الجانب أو حرف الكثيب أو حافته هو حرف وادى جازان عندما يفيض إلى البحر .. فشاهدت طوبة حمراء بارزة من الحرف الذى جرفه السيل — قريباً — فأوقفت السيارة ونزلت وأشرت إلى السائق الذى كان في المقعد الخلفي أن ينزل ورجوته النبش حول تلك الطوبة البارز بعضها والتي هي في وسط حرف الكثيب أي وسطاً بين أرض السبخة ورأس الكثيب المرتفع نسبياً وأخذت فى مساعدته

فإذا الطوبة بجانبها أخرى وثالثة ورابعة وأدركنا وقت الصلاة فصلينا المغرب وعدنا إلى البيت ...

* * *

وفي عصر يوم الخميس ١٠/١/١٣٨٤هـ خرجت بعد صلاة العصر مباشرة ومعي الرئيس يحيي النعمي من رجال جيشنا البواسل وكان يسكن في شقة لنا قريبة من مسكن العائلة وكنت أحب مرافقته في كل رحلة علمية ، وقد رجوت السائق بأن يأخذ مسحاة ورَفْشاً وشخصاً آخر ممن يعمل لدينا .. وبوصولنا إلى المكان أشرت إلى السائق والرجل الآخر بمباشرة الحفر واشتركنا أنا والنعمي في مساعدتهما وعندما بلغ الحفر سبعين سنتيمترا عن مستوى ظهر الكثيب أشرت إليهما أن يباشراه في أناةٍ ورفق فانكشف لنا أن الطوب الأعلى هو سقف على صفين من الطوب من الشمال والجنوب وفي رأس كل صف طوبة واحدة مما جعله أشبه ما يكون بصندوق مستطيل أرضيته التراب وسقفه من الطوب كل طوبة ٤٠×٤٥ س م واتضح لنا أن ذلك السقف غطاء لما يشبه صندوقاً من قوالب الطوب المصفوفة جوانبا وسقفاً فاستعملنا الرفق خشية من تحطيم ما بداخل الصندوق وأزحنا التراب من الأربع جهات فأصبح الصندوق ماثلا أمامنا طوله متران وعرضه ٤٥ سم وارتفاعه ٤٥ سم فإذا أمامنا هيكل عظمي كامل لبشر سوى قد نخره البلى .. فلو لمست عظمة من عظامه لتفتت بين أصابعك ...

والهيكل في شبه الصندوق في وضع أفقي رأسه من جهة الغرب وقدمه إلى جهة الشرق فأخذنا صورة للهيكل وأعدنا الطوب على وضعه السابق وأهلنا عليه التراب ...

والذي لاحظته هو أن موارة الجثمان مستقبلا الشمس هو وضع غير إسلامي وقد يكون ذلك الوضع تقتضيه طقوس عبدة الشمس أو غيرهم من الملل السابقة والنحل المتقدمة ..

وعندما سجلت هذه الأوراق بحثت عن الصورة فلم أعثر عليها بين أوراق أخرى مصورة . .



أَبُو دَنْقُور

الدنقور بلهجة جهتنا مؤخرة الرأس وضبطه بفتح الدال المهملة وسكون النون وضم القاف بعد واو وآخره راء مهملة ، وهوموضع بلدة صبيا (سابقاً) أما مدينة صبيا الموجودة الآن فقد اختطت سنة ٩٥٨ هـ — راجع كتابنا « المعجم الجغرافي » حرف الصاد .

ظلت مدينة صبيا التي كانت في جهة أبي دنقور عامرة إلى نهاية القرن العاشر ثم تلاشى عمرانها وتقوض بنيانها حتى زالت كلية من الوجود بعد أن عمرت صبيا الحالية .

وقد قمت برحلة إلى موضع المدينة القديمة ووجدت آثارها مدفونة تحت الرمال ، وقد شاهدت كسر الفخار وبعض كسر من الفخار الصيني والزجاج على عمق ذراع .

وعلى كل بلدة ظلت عامرة قروناً لابد وأن تضم تحت ثراها من المخلفات والآثار ما يسفر عن صفحات من آثار عمرانهاومقتنيات سكانها وأحوال قطانها وتاريخ أزمانها .

أُمّ القِحَفَة

بكسر القاف وفتح الحاء المهملة والفاء وآخرها هاء النسوة . جمع قحف وهو الكسرة من إناء الفخار . وأم القحفة اسم يطلق على قرية معروفة وسميت به لوجود الكثير من كسر الفخار حولها مما يدل على أنها انشئت على قرية قديمة كما هو الشائع بين أهل تلك الجهة.

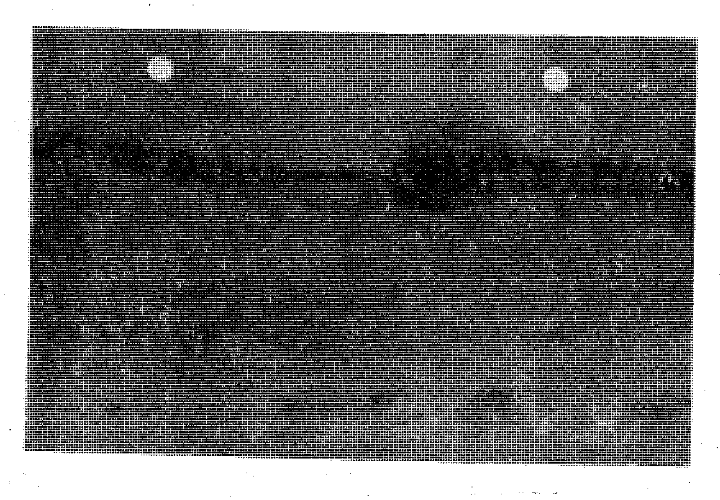
« أم القحفـــــــة »

على اسم سابقتها ، وهي تبعد عن الأولى بستة عشر كيلا تقريباً وكان اكتشافي لها بطريق الصدفة لأن ذلك المكان منعزل لا يطرقه إلا الرعيان فالطرق تتجانفه عن يمينه وعن شماله بمسافات تصد عابر السبيل أن يطرق مكانه . وكنت أبحث عن الزرائب – مدينة عمارة الحكمي – فيما هو شرق صبيا وكان بعض الأصدقاء من مشايخ تلك الجهة قد علم ببحثي عن آثار تلك المدينة فوصلني مشكوراً وقال : أخبرني بعض جماعتنا أنه عثر على بئر مدفونة وهي مبنية بالحجر أثرها فوق وجه الأرض وعلق قائلا: لعلها من آثار ما تبحث عنه ، وضربت له موعداً وسرنا في طريق غير مسلوكة حتى اشرفنا على المكان وقال : « البير قريبة تراها ، وهذه حَدّتها » يقصد الأحجار التي توضع على قمة البئر ..

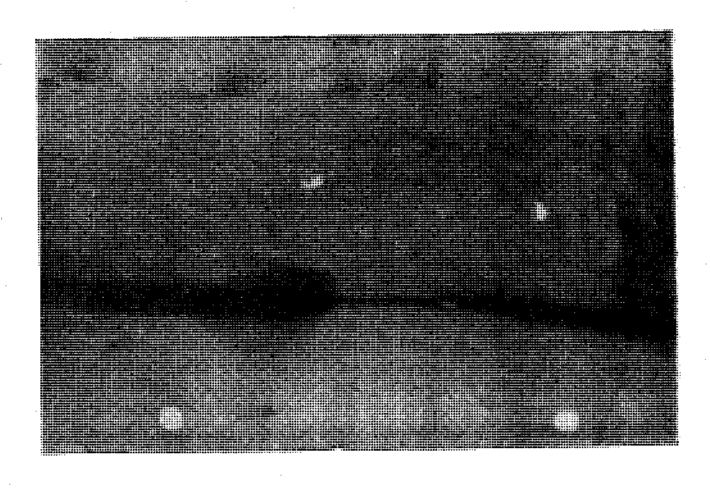
وقفنا على عين المحل فقال المخبر : هذه حدة البير ووضع يده على حزوز غير واضحة في حجر هناك وقال : هذه أثر الأرشية التي

يمتحون بها الماء من البئر ، تـأمـَّلـْتُ في المكان فلم أر ما يدل على بئر فتطلعت في صمت فيما حولنا وجُلت بنظري فإذا مسافة شاسعة انتشرت فوقها كسر الفخار ، والأرض رملية ممتدة الاتساع والمحاجر بعيدة عنها في الجبال الشرقية ، وصببت اهتمامي أولا على ما يسميه صاحبنا المخبر (حدة البير) فأعدت النظر في الحجر وأمعَنت في فحص ظهره وجوانبه فإذا هو خالٍ من أي نقش أثري .

كان الحجر من الطول النسبي والثقل بحيث يستدعي قَلْبه إلى عدد من الأيدي فاستعنا برفاق الرحلة وقلبنا الحجر بطناً لظهر ، فإذا على بطن الحجر نقش أثرى قد محا البلى والقدم بعض حروفه فأخذت له صورة شمسية للنقش المكتوب .



(النقش الأثرى)



(النقش الأثرى)

ثم أخذت في قياس الحجر فإذا هو كما يأتي : —

ذراع

٣$\frac{1}{2}$ طول .

٢$\frac{3}{4}$ محيط الرأس .

٢$\frac{1}{4}$ محيط الوسط .

٢ محيط طرفه .

فسألت الدليل: هل عثرت على حجر غيره ؟ قال نعم : يوجد حجر آخر فسرنا بين كسر الفخار شرقاً حتى وقف بنا على حجر آخر فلم نشاهد على جانبه أو ظهره شيئاً ، فقلبناه فإذا على طوله

نقش أثري فأخذنا له صورة شمسية وأخذنا مقاس الحجر كما يأتي :

ذراع

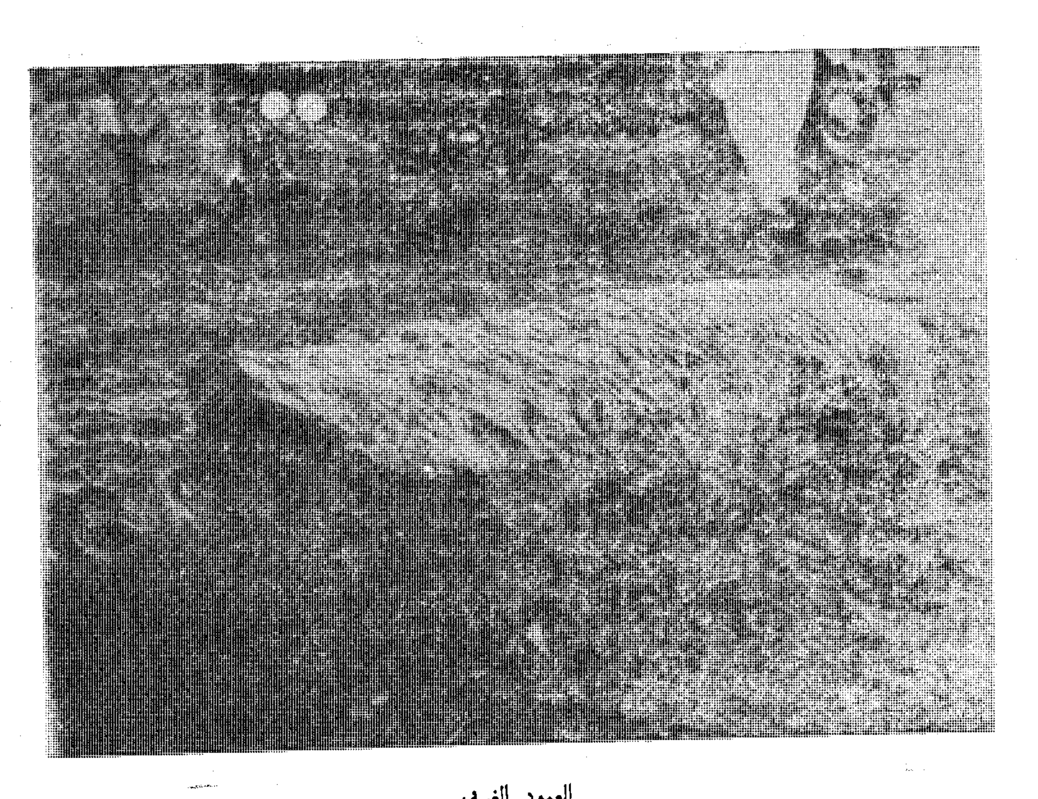
٦¼ طولا .

١¾ محيط ثلثه الأسفل .

٢¼ محيط ثلثه الأعلى .

وأعدنا الحجر على وضعه كما أعدنا الأول حرصاً مني على صيانة تلك الكتابة الأثرية من عبث الرعيان أو غيرهم .

بعد ذلك أردت معرفة المسافة التي تغطيها كسر الفخار فسرت ومن معي شرقاً ورأيت أن كسر الفخار متمادية فقلت لأحد الرفاق: سر شرقاً عشر دقائق فإذا انتهى أثر الفخار فأرفع يدك لنعرف مدى انتهائها فسار حتى إنتهاء الوقت ثم أشار بيده ملوحاً أن أثر الفخار لم ينقطع فرجوناه أن يسير جنوباً نفس المسافة فإذا كسر الفخار متمادية جنوباً فقدرنا رفاقي وأنا أن المساحة التي يكسوها الفخار لا تقل عن أربعين فداناً مربعة .



العمود الفقري

الاستنتاجـــــات :

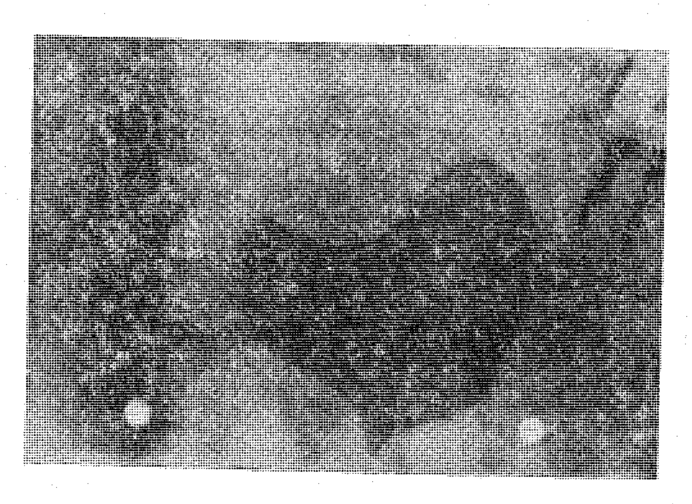
نقول الاستنتاجات ولا نقول النتيجة بالرغم عن الأدلة المادية البارزة وهي : —

١ — وجود الحجرين المكتوبين في موضع بعيد عن العمران مما يدل على أنها جلبت من الجبال الشرقية ونقشت عليها تلك الكتابة.

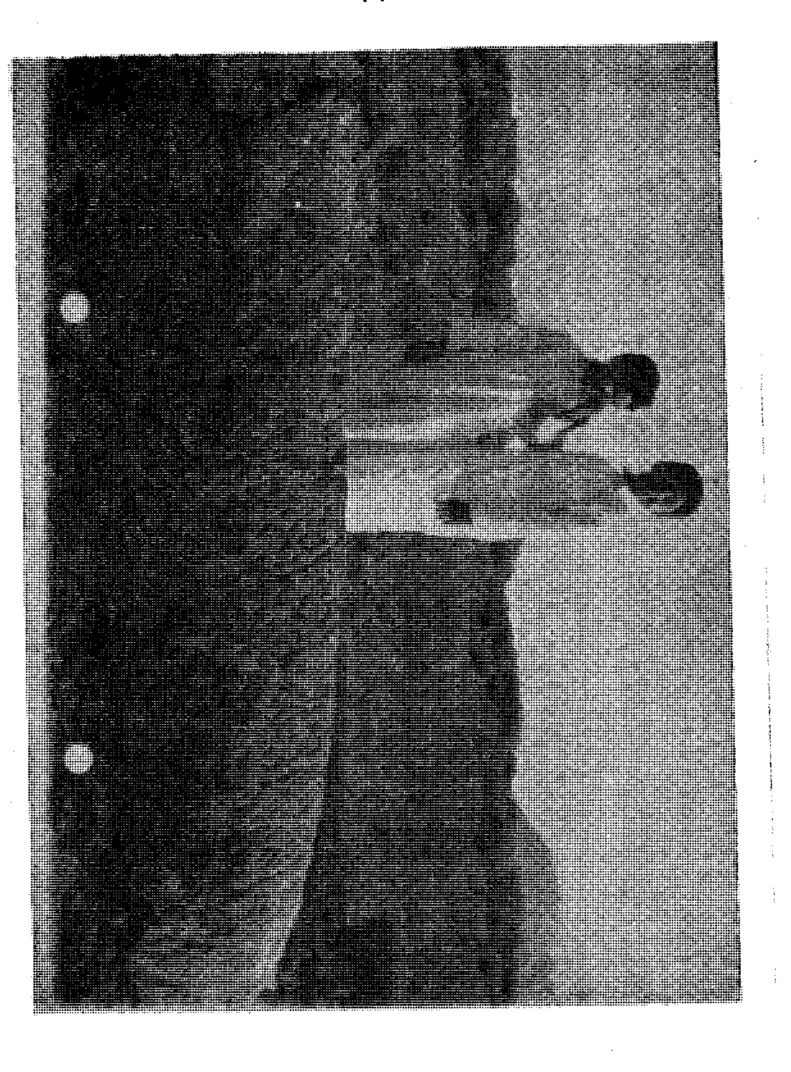
٢ — ارتفاع تلك الأرض عما حولها .

٣ — المساحة الواسعة التي تكسوها كسر الفخار .

كل ذلك يجعلنا نستنتج أن هناك مدينة مطمورة تحت أطباق الثرى وقد يكون في قراءة النقش ما يلقي الضوء على بعض أسرارها ، وحسبنا لفت أنظار الجهة المسؤولة فهي المنوط بها البحث والتنقيب الأثري .



(كسرة) الحجر الشرق





(العمود الشرقى المكتشف)

مَدينَةُ عثَّر

مدينة عثر من المدن التاريخية المشهورة في جنوب شبه الجزيرة — راجع ما كتبنا حول هذه المدينة في كتابنا المعجم الجغرافى — جغرافياً وتاريخياً وأدبيا وعمرانيا .

وهنا نكتفي بإيراد ما يتعلق بها باعتبارها مدينة أثرية قد اختفت من الوجود ولم يبق إلا آثارها المطمورة تحت الرمال إلا ما نـدَرَمن بعض الأسس أو ماتظهره العواصف أو السيول .

ومن الشائع المتداول أنه كثيراً ما يحصل بعض الأفراد — بعد تلك العوامل الطبيعية — على بعض النقود الذهبية أو الفضية أو غير ذلك فيتصرفون فيها كعروض لا كآثار تاريخية يجب المحافظة عليها والاحتفاظ بها .

ومما أظهرته السيول وعوامل التعرية ووصل إلى يد الحكومة فأودعته متحف جدة وسجله الأستاذ الجليل المؤرخ عبد القدوس الأنصاري في « تاريخ مدينة جدة » .

١ — طشت رخامي جميل صقيل من آثار الثموديين قطره ٦٠سم وعمقه ٢٥ سم .

٢ ــ تدوين منقوش على حجر .

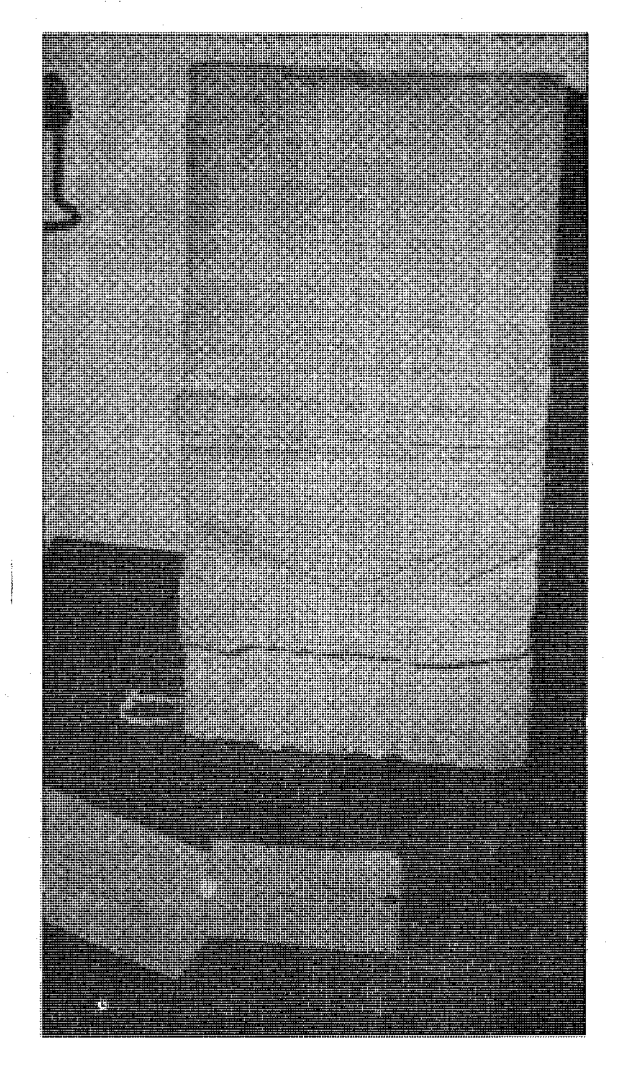
٣ ــ جزء علوي من عمود صخري .

٤ ــ عمود حجري رملي أبيض زخارف عربية .

٥ ــ قطعة حجر منقوش عليها كتابة عربية بالخط الكوفي الجميل .

هذا ما أظهرته الصدفة وأبرزته العوامل الطبيعية فكيف لو أجريت حفريات أثرية لكشف الكثير .

روى صديق أنه جاء سيل جارف فاجتاح حواشي أرض مدينة عثر فأظهر ما يقارب ثلاثين بئراً ، وأهل البادية لا يثير إعجابهم ويستحوذ على إفهامهم مثل العثور على الآبار .. وبغض النظر عن نظر أهل البادية فإن وراء العثور على مثل ذلك العدد من الآبار مايدل على عمران في تلك المدينة بحيث كان مثل ذلك يغطي احتياجات السكان من الماء ... ويظهر ان الآبار بعيدة نسبياً عن المدينة لأن بعض المؤرخين يذكرون أن الماء نقل إليها من بعد عنها لقربها من الساحل .



جزء من عمود وجد فى اطلال عثر (قوز الجعافرة)

قلعة أبي عريش

لا نعرف شيئاً عن معمرها الأول وهي قلعة منظرها يدل على
قدم عهدها ...

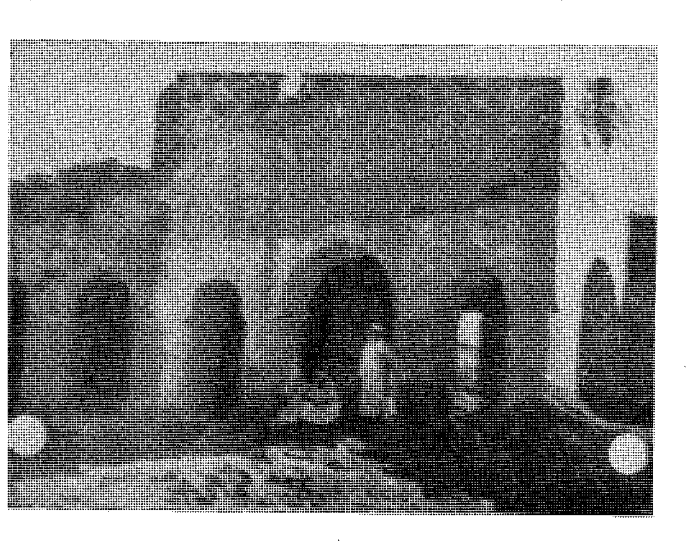
١ – وكل ما نعرفه عنها هو من كتاب العقيق اليماني . مخطوط –
فقد جاء في حوادث سنة ٩٨٩ أن الأمير التركى جعفر خرج إلى
جهة المسارحة فهزم ولم يتوقف في سيره حتى لاذ بقلعة أبي عريش .

٢ – وجاء في المصدر نفسه أن الأمير أحمد بن عيسى القطبي
دخل مدينة أبي عريش حربا وحاصر الحامية التركية حتى استسلمت
وأخرب قلعة أبي عريش وذلك عام ٩٩٠ ه .

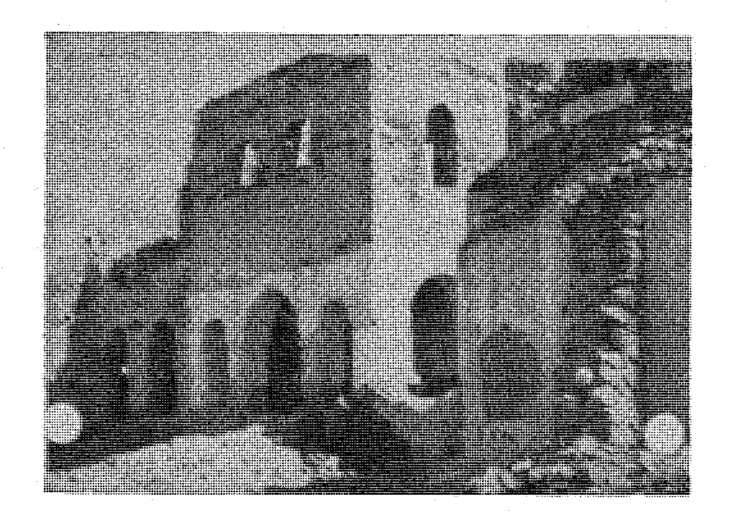
٣ – وجاء في حوادث سنة ٩٩١ بأن صدر الأمر للأمير مراد
التركي حاكم منطقة جازان ببناء القلعة التي أخربها الأمير أحمد
بن عيسى ووصل إلى مدينة أبي عريش البناءون كما وصلت سفينة إلى
ميناء جازان بمواد المبناء من الأخشاب والحديد وغيره وأنه عمرها
وزاد فيها على المعتاد ، وأنها ظلت عامرة إلى نهاية الدولة العثمانية
الأولى ١٠٣٦ وبعد ذلك تعاقبت عليها يد الإصلاح من كل من
تولى أمر المنطقة وأخيراً طالها الخراب وانهارت أبنيتها وفي سنة ١٣٥٤
أراد الشيخ عبد الله قاضي أمين مالية جازان تعميرها وشرع فعلا

في إقامة بوابها الرئيسية وإصلاح واجهتها ثم توقف عن التعمي
وكثر الخراب حتى أصبحت اطلالا .

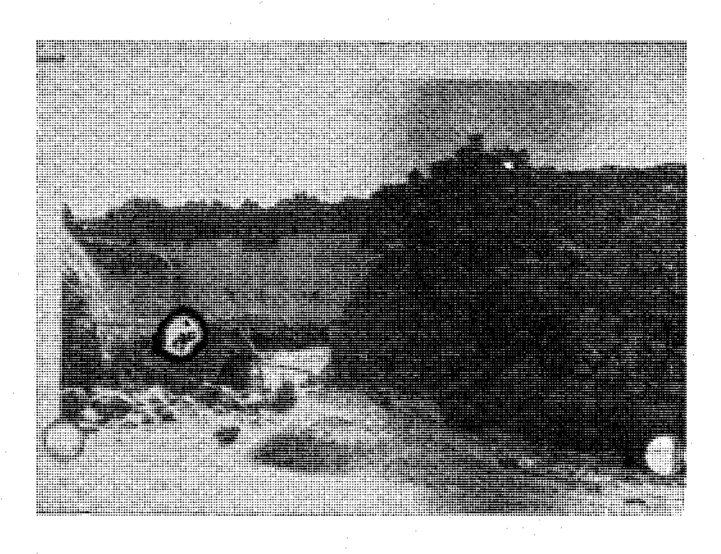
وفي سنة ١٣٩١ انهارت البوابة الرئيسية التي ترى صور
بهذا الكتاب فشوهت معالمها وتغيرت رسومها . . ويجد القار
الكريم رسوم مناظر للقلعة المذكورة ، بعد هذا .



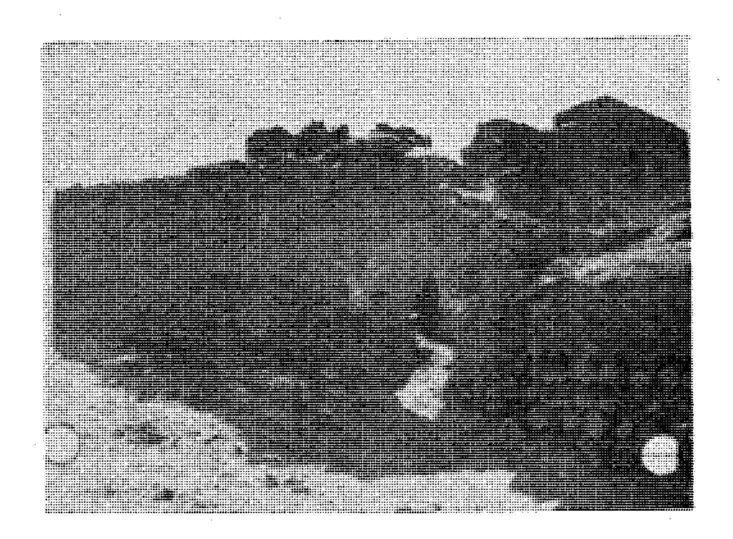
(دار النصر بأبي عريش من جهة الغرب)



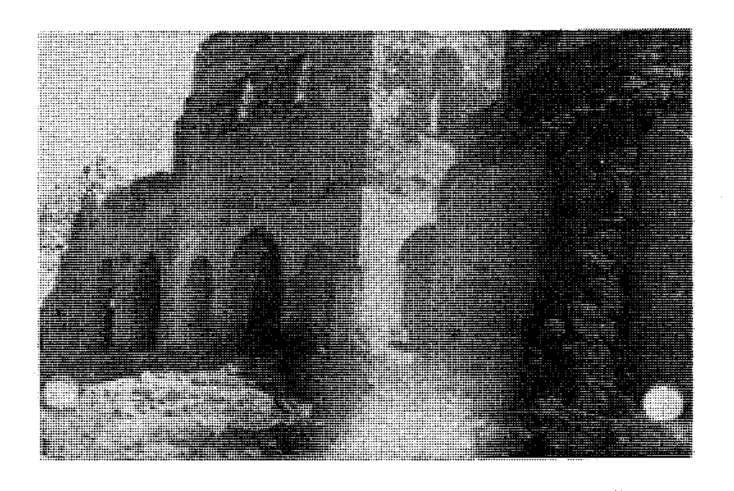
(دار النصر بأبي عريش من جهة الجنوب)



« دار النصر بأبي عريش من جهة الشمال الشرقي



« دار النصر بأبي عريش من جهة الشمال »



« دار النصر بأبي عريش من جهة الجنوب »

العكوتان

جبلان معروفان يعدان من معالم « المخلاف السليماني » في القديم والحديث . ولقد ورد اسمها في النقش الأثرى المرسوم (د510 Gt) في سنة ٢٧٦ ق . م .

« عكوة فى التاريخ الإســلامى »

ذكرعمارة في كتاب «المفيد» ص٥٤ مايأتى في حوادث سنة٤٥٤ « بلغ الصليحي أن ابن طرف قد اجتمع إليه من ملوك الحبشة .. وبعض النجاحيين من ملوك زبيد عشرون ألفاً فسار إليهم الصليحي في ألفي فارس فالتقوا في الزرائب من أعمال ابن طرف ، وهو الموطن الذي ولدت فيه وبها أهلي إلى اليوم فاستحر القتل أول اليوم في العرب ثم كانت الدائرة على السودان فلم يبق منهم إلا ألف احتازهم جدي أحمد بن محمد في حصنه بعكوة : والعكوتان جبلان منيعان لا يطمع أحد في حصارهما .. » انتهى

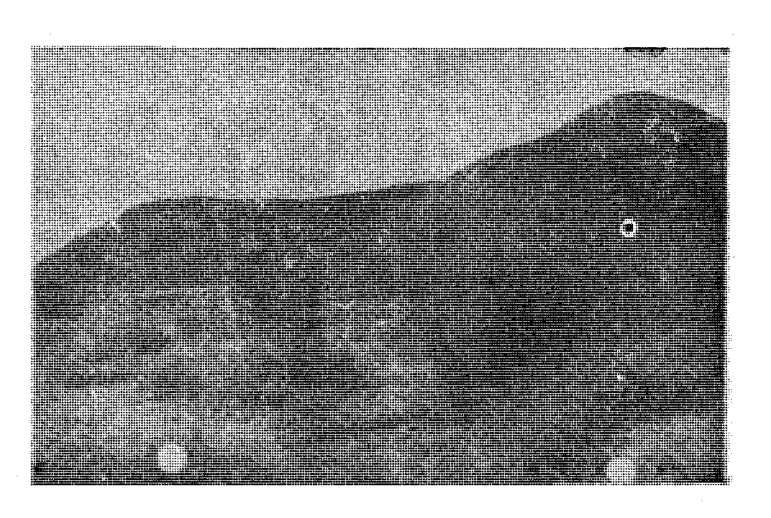
وقد دفعني ما ذكره عمارة إلى أن أقوم برحلة إلى جبلي العكوتين وقد نشرت خبرها في كتابي الجراح بن شاجر في القرن العاشر بمناسبة أنه الشاعر من أهل تلك الجهة ..

ومع كتابتي لهذا البحث أرى أن أدون تحفظي وملاحظاتي على ما ورد في (مفيد) عمارة مما يرجح لدى بعد كل ما كتب سابقاً أن العكوتين المذكورتين في كتاب عمارة هي غير العكوتين المشار إليهما وذلك لما يأتي : —

١ ـ أن العكوتين يقعان في السهل الذي شرق صبيا بنحو ١٨ كيلا ـ تقريبا وهما جبلان متواضعان يبعد أحدهما عن الآخر بنحو من ٦ـ٧ أكيال، ويطلق على الأول عكوة اليمانية والأخري الشامية.

٢ ـ ان عكوة الشمالية هى من الصغر وعدم السعة بحيث لا تتسع لأن يقع عليها بناء أما عكوة اليمانية والتي يوجد بها آثار حصن فهو وإن كان صعوده يستغرق للماشي نصف ساعة ناحيةالضلع الشمالي الغربي لصعوبة مرتقاه فإن سطحه لا يزيد عرضه عن متر إلى مترين على طوله الذي استغرق قطعه مشياً ساعة ونصفاً تقريباً إلى الضلع الغربى الجنوبي حيث الحصن الصغير الذي سنأتي على وصفه فيما يلي :

ـ الحصن لا يتسع لمائة شخص لو حشروا فيه حشرا فكيف يتسع لألف شخص .



« منظر لجبل عكوة الجنوبية »

ـ أن عرض الضلع الذي به المباني لا يزيد عن ١٢ متر عرضا في طول ٣٤ تقريباً .

ـ لا ماء في الجبل حتى أن الحصن الصغير قد بنى تحته بركة لحفظ ماء المطر سعتها ١١,٣٠ × ٦ أمتار في عمق ٤ ½ متر تقريباً .

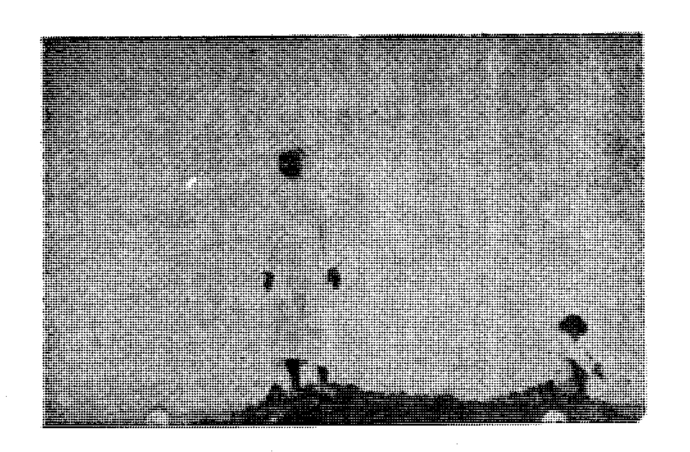
ـ لا توجد مدينة ولا آثار مدينة لا في الجبل ولا حوله ولا في عكوة الشمالية أوحولها هذا ماعَنَّتْ لى ملاحظته وتسجيله بعد مرور الوقت وتوسع الخبرة ـ راجع ما كتبته عن ذلك في الطبعة الثانية من كتابي « المعجم الجغرافي لمنطقة جازان » .

أثـــار الحصن فى عكوة اليمانية

فوق السطح المطل على موقع البركة وفي أعرض ناحية في طول ذلك الجبل حيث يتسع السطح إلى ١٠ ـ ١٢ مترا في طول ٣٤ مترا توجد أطلال حصن قديم يشتمل على بقايا ١٣ غرفة ويبلغ طول أحد الغرف المحتفظة بشكلها ٦ × ٢,٣٠ مترا وفي وسطه أطلال المباني درج يتكون كل درجة منه من حجر شبه منحوت والباقي منه ثلاث درجات ملاطة بالجبس . والدرج يصعد للدور الأعلا أو السطح ويوجد بقايا جدارين .

مادة البناء للجدران من الطوب المحرق . أما بقية مواد أطلال المباني فهى من حجارة الجبل .. وليس هناك ما يلفت النظر في تلك الأطلال .

٢/٨/٧٧ ، ٤/١٠/٨٣ :



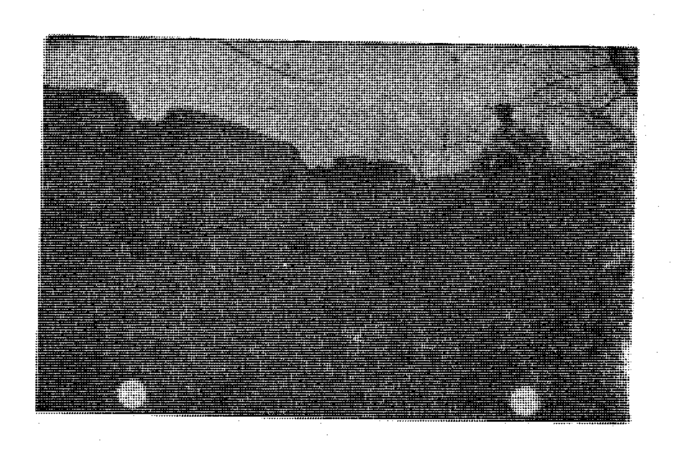
(صورة المؤلف على أعلى قمة فى الجبل من الناحية الشمالية)



« منظر يظهر فيه المؤلف واقفاً فى المجرى المؤدى إلى البركة »



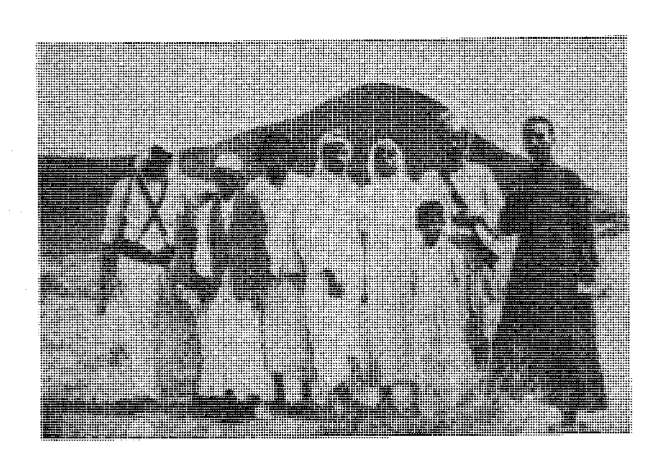
(صورة لجانب من البركة)



« صورة لحائط البركة الخارجى)



« الركن الشرقى الجنوبى للبركة الأثرية من الداخل »



(صورة تذكارية بتاريخ ٣/١٠/١٣٨٣ هـ)
(رحلة المؤلف إلى عكوة)

مَدِينة جَازَان العُلْيا

مدينة تاريخية تعرف باسم جازان الأعلى « وبالدرب » وبدرب النجاء ، تدل آثارها الماثلة على ما كان لها من ماض عمراني وتأريخ اجتماعي .

لانعرف على وجه التحقيق شيئاً عن ماضي تأريخها القديم ، وكل ما نعرفه عنها هو منذ اتخذتها أسرة الأمراء الغوانم ، ثم الأمراء الشطوط قاعدة لإمارة وادي جازان في القرن السابع ، ثم اتخذها بعدهم الأمراء القطبيون قاعدة لإمارتهم في القرن التاسع الهجري ، ومدينة تدل آثارها على قدم العهد وبعد الزمن لا يمكن أن تنبت بين عشية وضحاها .



« منظر لاطلال مدينة جازان العليا من الناحية الشمالية الغربية »

في النصف الأول من القرن السابع نجد الشاعر ابن هتيمل يصفها بالمنعة وقوة التحصن وعظمة البناء وأنها من بناء المردة أو الشياطين، فكم قد عاشت إلى أن استحقت أن تنعت بمثل تلك النعوت أو توصف بتلك الأوصاف .

مدينـــــة جـــازان فى الأدب : قبل سبعمائة وخمسين سنة — من تاريخنا الحاضر — نجد أن الشاعر قد استهوته عظمة ومنعة وحصانة مدينة جازان الأعلى فوسم لنا ذلك الشاعر المواطن القاسم بن هتيمل لوحة رائعة للمدينة أو بالأصح لحصنها أو قلعتها المنيعة فقال :

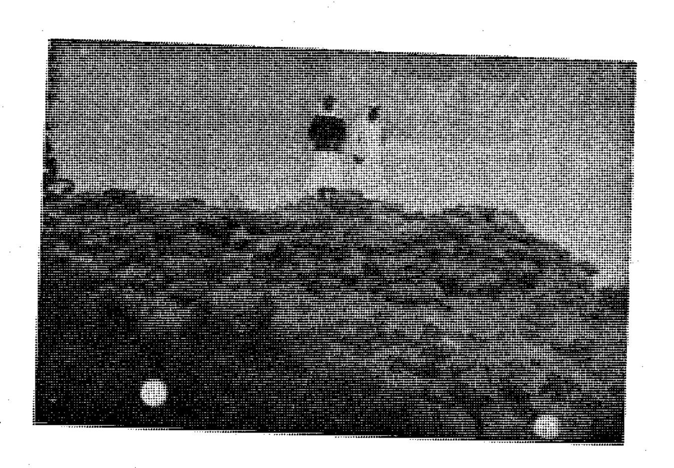
إذا ما رماح الخطّ لم تُرْدِ هَارباً
إلى (الدرب) أردته رماح المكائد
وما خلفه من حصن صــرح ممــردٍ
وكان كشيطان مـــن الجن مــارد

ومن عادة العرب قديماً أنهم ينسبون ما يبهر عقولهم من عظمة البنيان وروعة الآثار إلى الجن والمردة (وعبقر) أو (عاد) وإذا كان في قولهم ضرب من المثلوجيا ونوع من الأساطير إلى الخرافة أقرب، فإنه رغم ذلك يعطينا فكرة عن مدى ما تحدثه روعة المشاهدة ووقفة الإعجاب ، أو دهشة الاستغراب في نفوسهم ومدى الانبهار على أفكارهم .

كما يقول الشاعر نفسه من قصيدة أخرى :

فادلج من بروج (الدرب) يهـــوي
إلى السلبين مـــن أهـــل ومـــال

فالشاعر يصف مشاهدته لذلك الصرح الممرد والحصن المنيع وانطباعاته عن تلك القلعة الحصينة ذات الأبراج السامقة ، والعلو الشاهق والتي كانت تعرف باسم « الثريا » ومن بقايا مخلفات الأطلال الدارسة لتلك القلعة تستدل على ما كان لماضيها من زهو وروعة في الماضي . .



« منظر سور مدينة جازان من الناحية الشرقية »

« المدينـــة فى التـــأريـــخ الأدبى » :

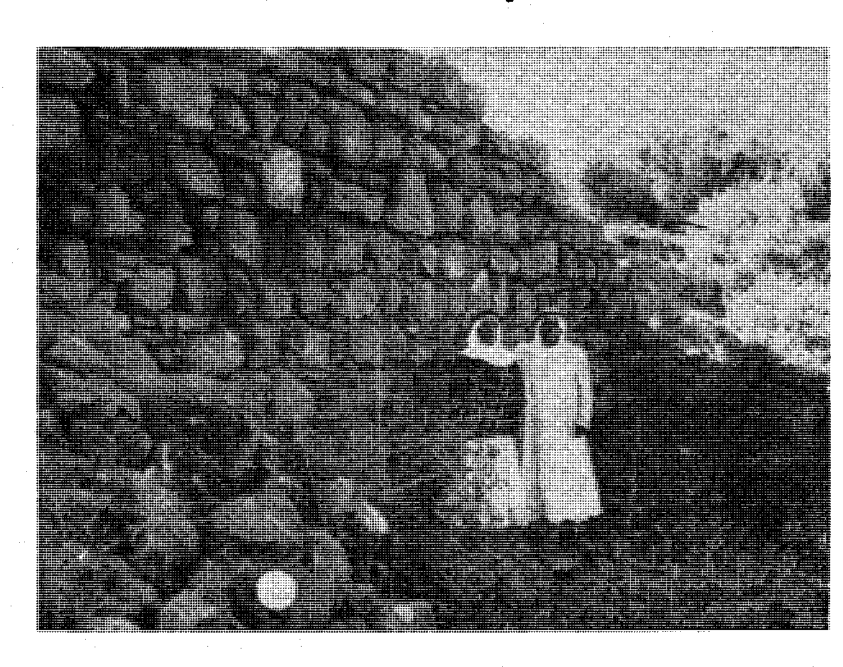
إن الأدب والشعر والرسم والنحت وكل ما يدخل تحت تعريف الفنون الجميلة كان لها فضل كبير في تخليد الآثار التاريخية والشخصيات الخالدة، فرسم الشعر وخلدالأدب آثاراً امحت رسومها وزالت أطلالها وبقيت في الشعر ماثلة باقية ، فنستطيع من قراءات (الياذة) «هوميروس » أن نشاهد صورة واضحة المعالم حافلة المشاهد لتلك المدينة الخالدة طروادة التي حفظت لنا قصيدة الشاعر صورتها الخالدة ، وكان ذلك الوصف البياني المخطط المضيء والنبراس المشع والتسجيل الواضح لمعالم للمدينة بعد أن طمرت آثارها تحت أطباق الثرى.

إن الأدب والشعر خلد الآثار وسجل العمران ورسم بالكلمة وصور بالحرف ما أفرزته الحضارة الإنسانية والرقي البشري .

وهذا إيوان كسرى لم يبق منه غير أثر داثر وطلل دارس بعد أن تعاقبت عليه الأحقاب وتتالت عليه الأزمان ، وهو في سِينْيَّة البحتري شامخ الأركان سامق البنيان متعالي السمك تتلألأ مقاصيره الوضاءة وتتوهج أبهاؤه الفساح وتشرق غرفاته وتتخايل شرفاته وتزهو نقوشه وتتألق رسومه وتماوج رقومه في تصوير معركة من أعظم معارك التأريخ بين أكبر امبراطوريتين عرفهما العالم في التأريخ

القديم ونشاهد نضارة الألوان ووضاءة الطلاء تروق النفوس بهجة وتخطف الأبصار توهجاً وتزيغ العقول تخيلا في جلال البناء وروعة الهندسة وتناسق التشييد ، بل ويصور لنا الشاعر مجالس الأنس وحفلات الرقص وصدح القيان وعزف الأوتار ومواكب الوفود وتزاحم الزوار والشهود .

أما رَصِيفُهُ الشاعر الثاني الجراح بن شاجر فى القرن التاسع فقد رسم لنا بريشة الفن وبراعة الشعر روعة العمران وجمال القصور وزهو البنيان في تلك المدينة في أحد عصورها الذهبية المتأخرة أي فى أول القرن العاشر ونكتفي بأن نورد بعض الشواهد من شعره الذي



« سور مدينة جازان العليا من الناحية الشمالية »

صور لنا بقلمه الشاعر وبيانه الرائق أبدع آثارها وأروع بنيانها ، فنجد الشاعر يقول في قصيدته البائية التي يحث فيها أميره إلى العودة من غزوة البداح إلى مدينته ومقر إمارته :

أتدرى بما لاقته تلك الملاعبُ
وما كابدت أبطالها والكواعب
وما نال (جازان) الخصيب وأهله
لفقدك يا من في الإقامة راغب
وتلك القصور المشمخرات لم تزل
« تغالب فيك الشوق والشوق غالب »
وتلك الرياض الضاحكات زهورها
ذوابل والأنوار فيها غياهب

وفي قصيدته التي مطلعها :

ذكر الحمى والنازلين حماه
ذاد الكرى عن ناظري وحماه

يحدثنا الشاعر عن المدينة واصفاً « القبة البيضاء » والقصر والقلعة المشهورة باسم الثريا ، والقبة أوالقباب في القصور تذكرنا بالنمط الأندلسي مما يدلنا على أن الأسرة القطبية — أو بالأخص الأمير المهدي— تفننت أو قُلْ : الأمير المهدي تفنن في فن البناء—وشيدت قصورها على نسق رفيع بديع ، ولم يكتف الشاعر بالوصف

الخارجي للقبة البيضاء .. والقصر البديع حتى وصف لنا في إيجاز غرفه الوضاء إذ يقول :

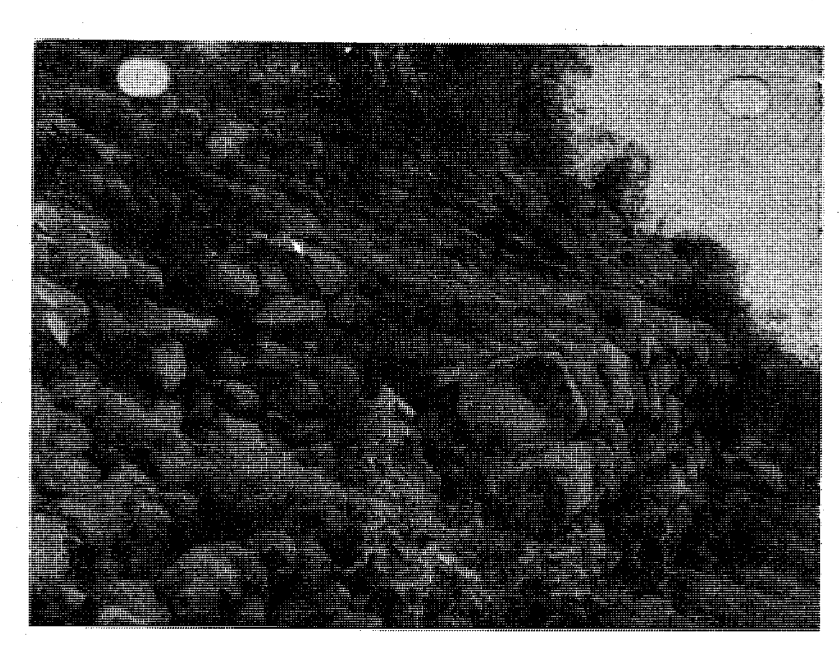
غرف حكت غرف الجنان وفاخرت

بـ (محمد) قمر السماء وعـــلاه

ونفهم من القصيدة أنها بعض غرف القصر الذي بناه الأمير عدا قصور الإمارة الموروثة من أسلافه :

لو كان ينطق قـــال عند قدومه

يهنى الأمير السؤل(؟) من مولاه



« منظر لجهة من سور مدينة جازان العليا المتهدم »

العيد والولد المبـــارك وجهـــه
والنصر والقصر المشيـــد بنـــاه

ويؤيد ما قلناه أن هذا القصر الجديد غير القصور السالفة من إرث أسلافه والتي كانت زينة عصرها في تلك المدينة التأريخية ، عدا ما أوردناه عن الشاعر ابن هتيمل في القرن السابع قول شاعرنا الجراح بن شاجر في قصيدته التي مستهلها :

قل لتلك اللواحظ البابلية والخدود الأسيلة الوردية

والتي من ضمنها يصف منظر المدينة الرائع وهو قادم إليها من الناحية الشمالية ، وقد بهره منظر قصورها التليدة تتخايل في جلالها وتتألق في جمالها وبهائها ، والتي تنعت بالخالدية نسبة إلى عميد تلك الأسرة ومؤسس إمارتها إذ يقول :

حين قابلت درب جازان لاحت
وبدت لي قصورها الخالدية
ورأيت الديار تسطع نوراً
من جلال الأسرة المهـــدية

ويؤكد الشاعر هذا الوصف باختصار في قصيدته التي مطلعها :

يا نسيم الجنوب قـــل للمليحـــة
ما لتلك العهـــود غير صحيحة ؟

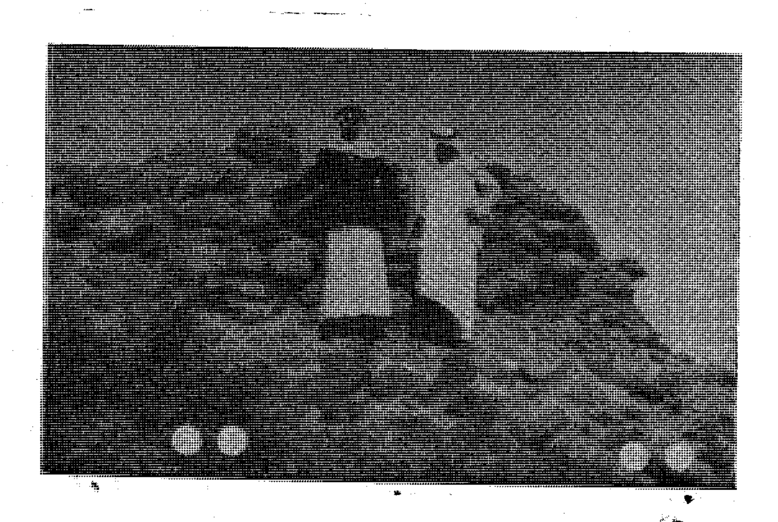
مشيراً إلى تلك الدور الفسيحة والمغاني الوسيعة .

وسمعنا النداء من كل دار :

مرحباً ، فانزلوا المغاني الفسيحة

أن الشاعر يردد في غير قصيدة من قصائد ديوانه ذكر قصور تلك المدينة الزاهرة وغرفها وأبهائها الوضيئة وما يكتنف ساحاتها ويزين باحاتها من الرياض النضيرة والأزهار المؤنقة .

وترديد الشاعر لوصفها وتفننه في تصويرها لا يمكن أن يكون عفوياً بل هو نتيجة المجاب وصدى انطباعات استثارت مشاعره وغمرت شاعريته؛ وملأت نفسيته ففاضت به أحاسيسه المرهفة شعراً



« برج من أبراج السور »

ينبض بالحياة ويتألق بالصور ويجيش بالمناظر العيانية والرسوم البيانية فيقول في إحدى قصائده :

وترى القصور تكاد ترقص فرحة
والزهر في الأكمام يضحك معجباً

ونزلت في القصر الذي غرفاتــه
لو أنها نطقت لقالت : مرحبــا

وفي أخرى :

أما ترى القصر العظيم المشيــد
أنواره كل غدٍ في مزيــد
تفضح أنوار قصور الجنــانْ

وفي قصيدة أخرى يقول :

ثم انثنيت إلى المدينة راجعاً
ودخلت قصراً بالجمــال مشيــدا

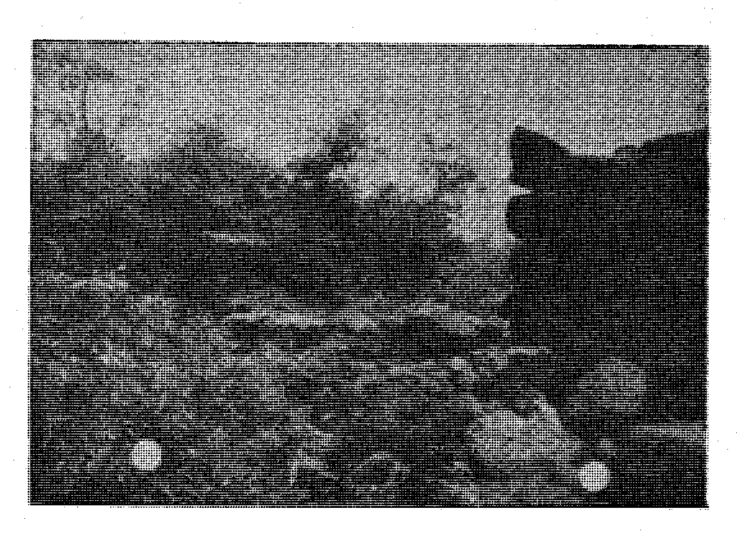
إن الشاعر — أي شاعر — في وسعه أن يضخم وصف المشهد الذى يصفه ويضفي عليه نعوتاً خلابة ، ولكن ليس في وسع أي شاعر أن يصف ما ليس موجوداً .

وإذا كانت عادية الزمان ونوائب الحدثان قد محت كل محاسن ذلك العمران ولم تبق منه سوى رسوم دوارس وأطلال طوامس من بقايا سور المدينة وآثار القلعة والأبراج المتهدمة وأسس دائرة من

بقايا تلك القصور فإنها باقية رغم البلى والخراب مخلدة بريشة الفن ماثلة متألقة في أزهى صورها في هذا الشعر الخالد :

الأحداث والغارات التي توالت على مدينة جازان الأعلى :

بطبيعة الحال إن أي مدينة إلاّ وتمر بدور من النشوء والعمران وقد تبقى عامرة وقد تأتي عليها الأحداث وتتوالى عليها الحوادث حتى تحيلها إلى ركام من الأحجار، فكثير من المدن لم تعمر بعد خرابها ولم تقف بعد عثرتها .. ففي التأريخ القديم نجد الرومان دمروا مدينة (قرطاجة) تدميراً كلياً فلم يقم لها قائمة ولم تستيقظ لها نائمة وكذا مدينة (طروادة) العاصمة القديمة وكذلك مدينة (تدمر) ومدينة (أفاميا) في

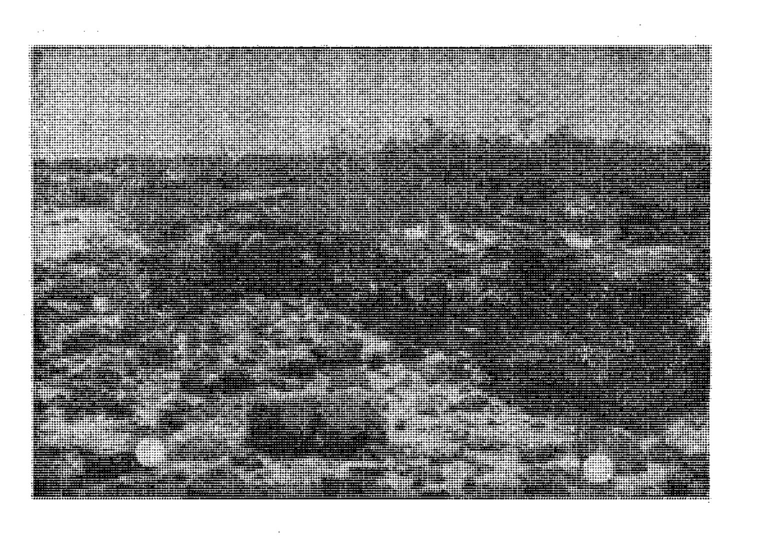


« صورة لبوابة حصن من الحصون »

سواحل البحر الأبيض المتوسط ومدينة (جرش) في الأردن ومدينة الحوراء ومدينة جرش في عسير ومدينة عثر في منطقتنا ولو استطردنا في إيراد الشواهد لضاق المجال .

ومدينة جازان الأعلى حالفها من سوء الطالع ما حالف غيرها فاستحالت إلى ركام من الأحجار ، وطلول دارسة من بقايا الآثار ونكتفي هنا بإيراد ما سجله التأريخ مما تناولها من الأحداث وما تعاقبت عليها من الرزايا والغارات .

١ ــ جاء في تأريخ المؤرخ عبد الرحمن الدَّبْيَع في حوادث سنة ٨٨٣ على أثر المعركة التي دارت بين أمير مكة وجازان ما نصه



« صورة لآثار مسجد ملحق بحصن من الحصون »

« وهوجمت مدينة جازان وانتهكت الحرمات وانكشفت العورات، وجرى على نساء صاحب جازان من الذل والإهانة وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد بحساب ، ونهبت خزائنه وفيها من الكتب النفيسة شيء كثير ، وأخذ من السلاح ما جمعه أبوه وجده ونهبت المدينة وأحرقت دور الإمارة وسور البلدة .

٢ ــ وبعد تلك النكبة الماحقة ، والضربة الساحقة ، أخذ الناس يعودون إلى المدينة ويصلحون ما أمكن إصلاحه من منازلهم التي أتى عليها الدمار والحريق ، وأخذت في الإنتعاش النسبي ، فعاجلها الخراب الثاني في سنة ٩٣٤ أي بعد واحد وخمسين سنة من تاريخ الخراب الأول وأسباب ذلك : —

ــ أن الحاكم الجركسي في زبيد ، طالب أمير جازان بتعجيل ما فرضه من خراج فاعتذر أمير جازان فتحرك نحوه وهاجم المدينة وقتل أميرها ثم نهبها ودمرها .

وضمدت المدينة الجريحة جروحها وعاد إليها بعض أهلها فانتعشت قليلا ودب في جسمها الواهن رسيس الحياة ولم تمض تسع سنوات حتى هاجمها أمير مكة فى عام ٩٤٣ ونهبها ودمر دورها وهدم قلعتها الثريا .

وتحاملت المدينة البائسة على نفسها وعاد من عاد من أهلها وأخذوا في إصلاح بعض منازلهم وترميم ما أتلفته تلك الغارة الغاشمة

واستولى الأتراك على جنوب الجزيرة، ومنها بالطبع المدينة وأخذوا فى ترميم قلعتها ، وبعد إحدى عشر عام أغير عليها للمرة الرابعة وذلك سنة ٩٥٤ وضرب حولها نطاق الحصار خمسين يوما ، فنال الجهد أهلها فتفرقوا شمالا وجنوباً ، ومع كل ما حاول الغازى من تشديد الحصار وموالاة الهجمات وتكرار الغارات على المدينة لَمْ يتمكن من أخذها، فانسحب راجعاً بعد أن أصاب المدينة من التدمير والنهب مالا مزيد عليه ...

وبعد انسحابه قامت الحامية التركية التي كانت محصورة فى داخل المدينة بهدم جامع المدينة ، وكل بناء ودور قريبة من القلعة الثريا، لأن الجند كانوا في أثناء الحصار يتسللون ويرقون سطح الجامع والمباني القريبة منه ويرمون الجنود الترك المحصورين .

— وبعد مضي إحدى عشر عاماً أو على وجه التحقيق فى سنة ٩٦٥ ضُرب نطاق الحصار على المدينة وحُصرت الحامية التركية داخلها حتى استسلمت قسْراً ومن ثم أمر الغازي جنده بنهب المدينة وتدميرها وهدم قلعتها وتركها خراباً ينعق البوم في أطلالها .

وبعد هذه الغارة الأخيرة التى أتت على كل ما تبقى من عمرانها هجر المدينة سكانها وتفرقوا في البلاد ، كما أن بقية الأسرة الحاكمة نزحت إلى جهات « المعتق » و «البداح» والسلب وقد حاول الأمير أحمد بن غالب في أول القرن الثاني عشر تعمير قلعتها وأن يتخذ

منها معقلاً إلا أن أيامه لم تطل فقد هزم وعاد إلى الحجاز ومن ذلك التاريخ والمدينة أطلال دارسة ورسوم طامسة سنأتي على وصف آثارها الدوارس .

من الآثار الباقية يستدل المشاهد أن مدينة جازان الأعلى مدينة قديمة وإن كان تألق اسمها واتسع عمرانها فى القرن الثامن والتاسع الهجري وهي المدينة الوحيدة المسورة في منطقة جازان — المخلاف السليماني سابقاً — وإنما كما هو معلوم أنها ككثير من المدن التي لم تحظ بعناية المؤرخين .

والمؤرخ الوحيد الذي خصها بالتفاتة عابرة هو المؤرخ علي ابن عبد الرحمن البَهْكَلي صاحب كتاب « العقد المفصل بالعجائب والغرائب في ذكر دولة الشريف أحمد بن غالب » حينما جاء إلى ذكر قيام الأمير بتجديد تعمير القلعة . فقال : واعلم اني قد طالعت بقية « المستفيد في تأريخ مدينة زبيد » للدَّيْبع مطالعة استقصاء فلم أره ذكر عمارتها القديمة مع ما ذكره لملوك زبيد في عماراتهم إلى مدة الدولة الطاهرية رأس المائة التاسعة ، وطالعت كتاب « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » مطالعة استقصاء ولا أخاله ذكر عمارتها ، وكذا بعض تواريخ الخزرجى ولم أره ذكر عمارة تلك القلعة ولا أظن العامر لها إلا خالد بن قطب الدين وأولاده — القرن التاسع — إلخ — وفات مؤرخنا أن الشاعر ابن هتيمل في النصف الأول من القرن

السابع وصف ذلك الحصن المنيع ، ونعته أنه من صنع المردة — وبدون شك أن ابن هتيمل وصف حصنا مشهوراً معموراً .

وجاء في المصدر نفسه — «كتاب العقد المفصل» :— عن تجديد الأمير أحمد بن غالب للقلعة ما يأتي : وفي شهر شعبان سنة ١٢٠٤ ابتدأ أحمد بن غالب في عمارة قلعة جازان — الأعلى — وكانت الأشجار سترت أرضها ، فأمر بقطعها ، وكان يغدو إليها يومياً ويروح إلى أبي عريش ، ثم ضرب خيمته وأقام بغير أن يسكن معه أحد في ذلك، واجتهد وأقام واقعد وأكثر من الصناع — هكذا — والاجراء ، وامتلأ بهم ذلك الموضع بعد أن كان مقفراً، وروى لي بعضهم أن أطلال بناية القلعة مُسحّتْ ، فجاءت ثلاثة معاود إلا ثمن وقيراط — نحو عشرة آلاف وأربعمائة متر تقريباً — وبالغ في إعادتها كما كانت وكان لا يبنى لها أساس إلا على ما يريد من الوضع والأحكام .

وقد ذرعت أسسها القديمة من الجانب الغربي فجاء بذراع اليد سبعة أذرع ونصف ذراع ، وكان بذلك الموضع باب قديم سده أحمد بن غالب ولم يزل مُهْتَماً بأمرها مشغوفاً بالعناية في إحكامها وتوثيق بنيانها ، ولم يدع أمراً تدعو الحاجة إليه عند الحرب وشدة الحصار إلا أمر بفعله ... إلخ ..

وصف مشاهدات آثار مدينة جازان الأعلى وقلعتها الثريا :

مدينة جازان الأعلى التاريخية لا تزال أطلالها ماثلة للعيان وأعتقد
نها من أقدم المدن التاريخية في منطقة جازان وإن كان بعض مؤرخي
لجهة ينسب عمارتها إلى مؤسس الإمارة القطبيّة في القرن التاسع
وقد أوردنا وصفها في شعر الشاعر ابن هتيمل — القرن السابع —
ومن وصفه نستدل أنه يصف حصن قديماً منيعاً ينسب بناؤه إلى
لمردة ..

وآثار تلك المدينة التاريخية ماثلة للعيان على رأس الحرة ولا زال
بعض قصورها ودورها في الناحية الشمالية من الحرة .

الســـــور :

يحيط السور بأطلال الحي الرئيسي من المدينة وبالقلعة التي كانت
تسمى الثريا وهو مَبْنيٌّ من الأحجار البركانية ويظهر أن ارتفاع
السور كان يقارب ١٢ ذرعاً وبين كل ٢٥٠ ذرعاً — تقريباً —
برج على مدار السور ولا يزال السور محتفظاً بآثار مداره وبعضه
قائم إلى نصف مستواه وبعضه أكوام من الحجارة وكذا الأبراج
بعض قائم إلى ربع أو ثلث ارتفاعه وبعضه كومة دائرية محتفظاً
بشكله هذا في سنة ١٣٨٣ ويتراوح عرض الباقي من السور بين
٦ — ٧ أذرع وكذلك عرض الأبراج : وتقع بوابة السور الرئيسة

في الناحية الغربية وآثارها ظاهرة وبعض صخور جوانب البوابة
لا تقل عن طول ثلاثة أذرع .

القلعـــة :

والقلعة (الثريا) توجد اطلالها في الناحية الغربية الشمالية وتتكو
من عدد من المباني وأبراج قوية البناء وأرضها قد غطتها أشجا
الاراك وقد كانت جدران القلعة ومبانيها مطلية بالنورة وإنما ملوح
الأرض السبخة أتت على طلاء النورة حتى بقيت حجارة البناء عاري
يضاف إلى ذلك عوامل التعرية وفعل الرياح والجفاف والرطوبة
وهطول الأمطار التي عملت على إزالة طلاء الجبس والنورة ومن
المشاهدة العيانية نعرف من الباقي من آثارها ما نستدل به أن القلع
كانت من المعاقل الحصينة التي استحقت أن يطلق عليها اسم (الثريا)
وفي داخل القلعة بئر واسعة ولا تزال بعض حوائطها وغرفها متماسك
البنيان — في بعض الجوانب — إلى ارتفاع ستة أذرع أما أغلب
مبانيها فهي بين مردوم ومدفون .

بعض المبـــــانى :

وفي الناحية الشمالية مما يحيط به السور مبانٍ مرتفعة مما يدل أنها
كانت ذات أهمية وشأن وهي الآن مدفونة بالأتربة . وإذا وقفت في
مسيل وادي جازان تحتها مباشرة ترى تلك المبانى فوقك فى ارتفاع
شاهق تطل عليك في شموخ وكبرياء واضحة البنيان شامخة الأركان .

يتراءى أن السور كان يحيط بالقلعة الثرياء وقصور الإمارة أو
رهم . وقد لاحظنا أثناء تطوافنا آثار حصن في مباني الناحية
نوبية الغربية الباقي منه بوابة رئيسة للمبنى محاطة ببرجين قويين من
نبيها ، وعضادتا البوابة مبنيتان من حجارة طول الحجر ثلاثة أذرع
لا في عرض ذراع والبوابة تؤدي إلى دهليز كبير في نهايته بوابة
رى محصنة ببرجين — أيضاً — ويليها بنايات متهدمة — وبالغرب
ه آثار مسجد صغير كأنه كان ملحقاً بالحصن . وحول ذلك
ساسات مبانٍ ظاهرة فوق وجه الأرض تملأ نواحي ما يحيط به
سور . ومن خارج السور آثار أسس مبانٍ متمادية في كل ناحية .

أما جامع المدينة الذي سبقت الإشارة على أنه هدمه الأتراك بعد
لحصار — السابق ذكره — وقد وصف أنه من أحسن المساجد في
لجهة فلم نعثر له على أثر ولا على أطلال قُبَّة الأمير أحمد بن دريب ،
وقد قمت برحلتين إلى تلك المدينة الأولى سنة ١٣٧٩ هـ
والثانية ١٣٨٣ أي بعد عشر سنوات بعد الرحلة الأولى وبين
الرحلتين ما شهدناه في المرة الأولى تغير في المرة الثانية أما بحكم
العوامل الطبيعية كطلاء جبس ونورةٍ في بعض المباني كان في المرة
الأولى له آثار في بعض المباني لم نجده في المرة الثانية بحكم أن الأرض
سبخة تتسبب ملوحتها في توريث الرطوبة وتآكل الطلاء أو بحكم
عوامل الطبيعة من تعرية وأمطار ورياح وغير ذلك وإما سطو الناس
على الأحجار .

وفي كل مرة لا تزيد جولتنا على عدة ساعات وهو وقت قصي
لا يتسع للاستقراء والبحث والإستقصاء ودراسة تلك الآثار دراس
جادة تحتاج إلى رحلة تستغرق أقله ثلاثة أسابيع لشخص مقيم يبد
التجوال بين الأطلال المتداعية والرسوم المتوارية من الصباح إلى
ما قبل الظهر ومثلها عصراً وفي الليل يرتب ملاحظاته التي سجله
ومشاهداته التي دونها ويكتب تقريراً موسعاً عن كل موقع على
حده ... وهذا ما لم يسهل لنا .

١٣٨١/١٠/١٠ هـ .



مدينة الخَصُوف

بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة بعدها واو وآخرها فاء ..
ة مخلاف حكم إلى منتصف القرن الرابع ، ذكرها الهمداني مع
مدن جنوب الجزيرة فقال : وعرض الخصوف مدينة حكم
عرض صعدة ، وطولها من الشرق ٢٩ . وقال في صفة
يرة أيضا : ثم وادي خلب وهو الذي يشرع على جانبه مدينة
صوف » انتهى.

فهي مدينة ذكرت مع أشهر المدن مثل الطائف ، وجرش ،
نعا ، وعثر ، وقد دثرت متقدماً ويظهر أنه بعد توحيد سليمان
طرف مخلافي حكم وعثر ونقله عاصمته من الخصوف إلى مدينة
أخذت مدينة الخصوف في الضعف إلى أن دثرت تماماً .

إن تلك المدينة لا شك أن لها أهميتها تأريخياً وأثرياً وهي في
فنا الحاضر غير معروف موقعها ، وإذا قال قائل : إن الهمداني
حقق موقعها بقوله : إن وادي خلب يشرع على جانبها – أي أنها
عدوة ذلك الوادي فنقول : إن وادي خلب طوله من مآتيه في
ردنا إلى مصبه في ساحل البحر قرب مائة كيل في أي جهة منها
ي أين تلك المسافة كانت المدينة قائمة ؟ وهل هي على العدوة
أو اليسرى للوادي ؟ وهذا ما يحتاج إلى البحث والاستقراء على

طول تلك المسافة أو على الأقل في حوض الوادي الذي هو
« النقيل المركوز » إلى مصبه في البحر عند جبل « المعقد » و
يحتاج إلى رحلة تستغرق أياماً لأن البحث لن يكون في موضع معر
بل يحتاج إلى البحث في طول ٨٠ كيلا في كلَيْ ضفتي الوادي
أي البحث والتتبع في جهة مسافتها ١٦٠ كيلا . وهذا ما جعلني
حائراً ، وأفكر في طريق مختصرة ، توصل إلى الغرض المقص
وتوفير الوقت وتختصر المسافة ، ورأيت أن الإتصال الشخ
بالمعروفين من أهل تلك الجهة على عدوتي الوادي المساعدة
يوصل إلى الغاية المرجوة وظللت أنتظر النتيجة ولكوني من أبناء ا
فقد هدتني معرفتي بالجهة ومرونة تعود البحث إلى التركيز
جهات مخصوصة ...

وأخيراً وصلني شيخ صديق وأخبرني بأنه عثر على ما يرج
يكون هو المطلوب وأنه يوجد في جهتهم على عدوة الوادي «
كبير يسمى « الكرسي الأحمر » .. فواعدته على يوم مخصص و
توجهت بسيارتي إلى المكان فوجدت الرجل في انتظاري وأ
المكان فوجدته تنطبق عليه الأوصاف ، وبفحص المكان قدرت
هو موقع المدينة الأثرية « الخصوف » للأسباب الآتية : —

١ — أنه تل مرتفع كبير على عدوة الوادي وحوله تلال ص
في أرض شبه مستوية .

٢ — أن التل الكبير وبقية التلال شبه مغطاة بكسر الآجر
حمر والفخار .

٣ — أن عين الفاحص المدقق تدرك أن ذلك التل وما حوله ،
مور تحته آثار لها أهميتها الأثرية والتاريخية .

٤ — أن التل ليس تلا طبيعياً وأنه مرتفع عما يحيط به .

٥ — ليس على طول حوض الوادي موضع يحمل أوصافه
طابق شكله من الأثر والأدلة الظاهرة ۵

٦ — بعد كل ما أوضحته من القرائن والشواهد يترجح لدي
المكان لا يبعد أن يكون موضع المدينة ۵

ومع كل فإنه — بعد كل ما سبق — فإن لم يصح أن ذلك
ضع هو المطمورة تحته آثار مدينة الحصوف فقد يكون تحته
ار مطمورة لمدينة أثرية أخرى لا تقل أهمية عن الحصوف .

إن الحقيقة لا تظهرها إلا الحفريات من قبل عالم أثري ..
حسبي أني عَيَّنْتُ الموضع وقدمت الدليل وأوضحت الطريق ..

٥/٨/١٣٨٦ هـ

* * *

جَبَل جَحْفَان

جبل من جبال مملكتنا في الناحية الجنوبية الشرقية ذكره صاحب
كتاب « صفة جزيرة العرب » باسمه فى النصف الأول من القر
الرابع الهجري ، ولا شك أن هذا اسمه منذ أطلقت الأسماء ع
مسمياتها فقال عند ذكر الأودية في منطقتنا :

١ ــ وادي تعشر .   ٢ ــ وادي جحفان

٣ ــ وادي لِيَّةَ .   ٤ ــ وادي خلب .

وبهذا الترتيب فإن ما سماه بوادي جحفان يطلق على اسم وادي
المغيالة في وقتنا الحاضر مع أن أغلب مياه هذا الوادى تأتى م
جبل جحفان .

إن جبل جحفان متوسط الارتفاع واسع الأرجاء وقد قمت
برحلة إليه في سنة ١٣٨٦ وقد صعدته من الناحية الغربية الشمال
سيراً على الأقدام لأن السيارة كان لها خط سير صعب أثناء وجو
حامية هناك وقد اضرت به السيول فاستغرق سيرنا من القاعدة إ
موقع المركز وهي أعلا نقطة في الجبل نحو ساعتين ونصف صعو
ونحو ساعتين إلا ربع هبوطاً .

والجبل غير مسكون ، وإن كان الدلائل تشير إلى أنه كا
مشغولا بالمدرجات الزراعية في الأزمان القديمة .

جحفـــان منطقـــة أثريـــة

جبل جحفان من المناطق الأثرية في المملكة وإن كان تأريخنا لم يحظ بالعناية فقد نشر في « مجلة الإذاعة السعودية » . في عدد شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ هـ مقالُ للأستاذ أحمد على بعنوان ، « المناطق الأثرية في المملكة » مستقى من الخرائط التي أعدتها(مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية) تحت رعاية وزارة المالية والاقتصاد السعودية جاء فيه .. « ومن المناطق الأثرية في الجنوب جبل جحفان بالقرب من أبي عريش والحقيقة أنه يبعد عن أبي عريش بنحو ثمانين كيلا وهو يتبع منطقة صامطة لا منطقة أبي عريش وكليهما من مناطق جازان .

وقد علمت من بعض مشايخ تلك الجهة أن في آخر العقد الخامس أو في أول العقد السادس وصل المستر فلبي إلى المنطقة وتوجه إلى جبل جحفان وخيم في سفحه الجنوبي الغربي أياماً منقباً دارساً .

وقد جاء في المقال المنشور في مجلة الإذاعة : أن منطقة أبي عَرِيْش أيضاً من المناطق الأثرية في المملكة ..



بلدة المنارة

على منارة المسجد (المأذنة) اسم بلدة أثرية تتناقل عنها الإشاعات من وجود نقود وآثار وأواني فخارية الشيء الكثير وإن كان القليل منه حقيقة . كما أن الذائع عن عمرانها وعظمتها أقل بكثير مما دون عنها في بعض المخطوطات – راجع ما أوردناه عن تلك المدينة في كتابنا « المخلاف السليماني » ص ٢٧٣ ج ١ نقلا عن كتاب « العقيق اليماني »ومضمون ما ورد عن تلك المدينة في حوادث القرن التاسع أن الأمير خالد بن قطب الدين أغار على مدينة المنارة لما خرج أهلها عن طاعته وأرغمهم على الطاعة ثم أخربها فنزح أهلها إلى قرية ضمد .

أما موقع المدينة فلا يزال معروفاً على سيل وادي جازان والشائع بين الناس أنه مع فيضان الوادي تظهر بعض الأواني الفخارية أو النقود أو شواهد قبور .

ومما شاهدته أو أخبرني به من أثق به هو :

١ – شاهدت أربعة شواهد في قصر الإمارة قبل ما ينوف على خمسة عشر عاماً وعلى واحد منها كتابة مشجرة بالخط الكوفي الجميل واحدهما بالمسند .

٢ – شاهدت عند شخص في المنارة جرة من الفخار كبيرة

الحجم رقيقة الجرم فسألته فقال: وجدتّها أو قال وجدها شخص في جهة المنارة فقلت له: ما تصنع بها فقال : استعملها لنقل الماء لبيتي فبذلت له فيها عشرين ريالا فقال: الآن هي مَلآنَةٌ بالماء ولا يمكن إفراغها وإنما بكرة أصل بها إليك إلى محلك ولم يصل كما وعدنى وبعد أيام وجدته فقلت له أين (الجرة).. ؟ فقال: كنت أحملها وأنا خارج من البيت لأوصلها إليكم فاصطدمت بعتبة الباب فسقطت منى وتحطمت .

٣ ــ أخبرني الشيخ المرحوم محمد علي عقيل قائلا : في سنة ١٣٨٢ نزل سيل جرف كثيراً من عدوة الوادي فجاءني شخص من جماعتي ومعه خمسة قطعة عملة ويمكن أنه وجد أكثر من ذلك العدد فأخفى بعضه ووصلني بتلك القطع فأخذتها منه وسلمت منها أربعاً للأمير وأبقيت واحد ففحصها الأمير وقال: هذه عمله قديمة ، وبعد رجوعي إلى البيت نظفت القطع الباقية فإذا هي عملة ذهبية وإنما لا أعلم إلى أي عهد من العهود القديمة وظللت احتفظ بها وقتاً .. وأخيراً فقدت منى . .

١٣٨٨/٦/٢٨ هـ

مدينة عُدَيْنَة

بالتصغير مدينة أثرية مطمورة تحت رمال مجرى وادي جازان – حالياً – وموقع المدينة في مجرى الوادي وفوق عدوة الوادي الشمالية آثار مدينة المنارة التي سبق ذكرها في هذا الكتاب .

إن مدينة عدينة شائع عند بعض الناس أنها تحت مدينة المنارة وقد حاولت الرحلة إلى موقع المدينة الأثرية والوقوف على عين موقعها فاتفقت بشيخ وادي جازان المرحوم محمد على عقيل المتوفي سنة ١٣٨٥ وأفهمته برغبتي لأنه من أعرف أهل جهته بالأماكن التي في نطاق مشيخته وجهة قبائله فأجابني مشكوراً باستعداده لمرافقتي .

وبتاريخ ٢٥/١/٣٨٤ قمت برحلتي واستصحبت الشيخ محمد على عقيل وفي أثناء الطريق سألته عما يعلمه أو يسمعه عن (عدينة) قال : أخبرني والدي عن شيخ معمر من أهل قريته أنه كان الشائع عندهم مما يتناقله الخلف عن السلف – أو ما هو بهذه العبارة – أنه توجد تحت المنارة أو بالقرب منها من الناحية الجنوبية أطلال بلدة تسمى عدينة وأن والده أخبره أيضاً أنه كان يوجد أطلال قلعة أو حصن قديم في موقع عدينة وظلت موجودة حتى سنة ١٣٥١ فاجتاحها السيل الجارف .

سرنا إلى أن هبطنا مسيل وادي جازان وسرنا في بطن الوادي حتى دلنا على الموقع قائلا : هنا موقع مدينة عدينة .

وبطبيعة الحال أن مجرى الوادي نازلٌ عن مستوى الأرض في ذلك المكان بمقدار مترين ونصف تقريباً وبالبحث عثرنا على أسس بعض المباني مطمورة بين رمال الوادي ، ثم سرنا شرقاً فوجدنا حفريات قام بها شخص يملك الأرض بغية العثور على أحجار البناء لبيعها لأهل الآبار ، وفعلا وجدنا في تلك الحفريات أساس بناية قديمة من (الطوب) والآجر المحرق والحجارة .

ومن المشاهدة العيانية يظهر للمتأمل المدقق أن آثار بلدة عدينة تقع في مجرى وادي جازان بعمق بأكثر من خمسة أذرع أو مترين ونصف تقريباً عن عدوته التي يوجد بها مباشرة آثار مدينة المنارة المطمورة تحت الثرى . وليس ببعيد أن تكون بلدة المنارة بنيت على أطلال عدينة ، ولمثل ذلك شواهد فقد عثر المنقبون على مدينة بنيت فوق آثار مدينة طروادة القديمة .

وسألت الشيخ : كيف بنيت عدينة في مجرى الوادي ؟ فقال : ليس هذا بمجراه القديم فمجراه كان جنوباً وأن هذا معروف في جهتنا ... وأفادني أنه قبل عشر سنوات كشف السيل على عمق

يقارب ثمانية أذرع سلسلة من الآبار يبلغ عددها الخمسين بئراً ويكاد وضعها أن يكون في خط مستقيم . ويعتقد أنها من آثار مدينة عدينة ، وأنه ظهر قرب الآبار أساس بناء يعتقد أو يقدر أنه اسطبل لأن حوله مذاود وأحواض ومرابض ظاهرة في الأساس الباقي من البنيان . وإن جاء سيل آخر عَفَّى على تلك الآثار .

وعلى كل فمثل حقيقة هذه الآثار لا تظهرها إلا الحفريات. وحسبنا أن نسجل المسموع والمشاهد .



مَهَدُّ الحُصُون

اسم موضع بفتح الميم وفتح الهاء وآخره دال مهملة مضاف إلى الحصون جمع حصن بكسر الحاء المهملة . يطلق على مجموعة من الحصون القديمة في موضع استراتيجى يتحكم — بحكم المواصلات القديمة — في طريق بين السهل والحزْن ، الموصل إلى القسم الجبلى على طرف حرة عوصاء المسالك وتحتها مباشرة سيل (مجرى الوادي) ومن شمالها جبال (الدائر) — راجع كتابنا ، المعجم الجغرافي ، حرف الدال —

أبرز مجموعة تلك الحصون التي أغلبها متهدمٌ كأكوام من الحجارة البركانية ، وأبرزها حصن يعتلى هضبة مرتفعة في تلك الحرة جنوب مجرى الوادي . وادي خُلَب .

يشتمل الحصن على عدد من الغرف والمخازن قدتّهدمت سقوفها ويحيط بها سور من الناحية الجنوبية .

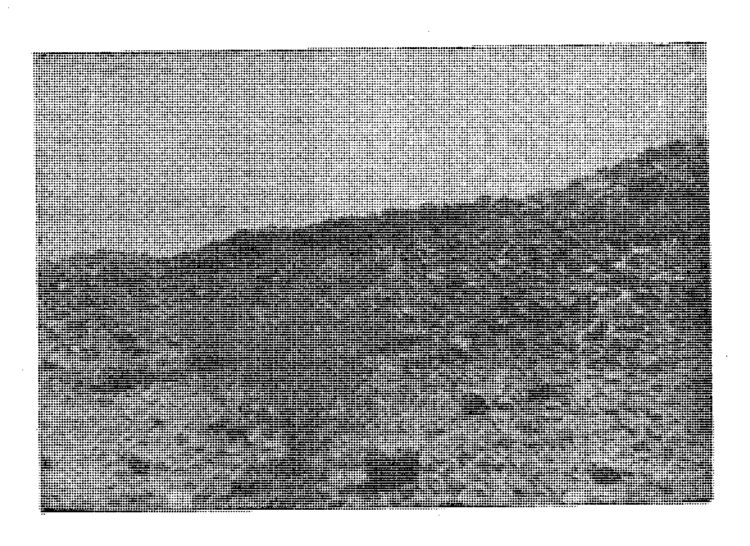
---

(١) هد البيت : نقضه لغة وفى لهجة جهتنا هد انزل والمهد : هنا : اسم مكان .

وفى الناحية الغربية تشتمل على المبنى الرئيسي وتبلغ مساحته ٥٠ ذراعاً من الشمال إلى الجنوب في عرض ثلاثين ذراعاً من الشرق إلى الغرب ، يضاف إليها مبنى شبه مستودع وفناء شمسي وينتهي من الشرق ببعض مباني ثانوية .

وملحق به مباني فرعية من الناحية الشمالية ويوجد قربها آثار مسجد صغير مما يدلنا أنّ الحصن إما أن يكون من الآثار الإسلامية أو أنه أقدم عهداً وأضيف المسجد إليه بعد ذلك .

إن تلك الحصون آثار قديمة، أعتقد أنها لم تُبْنَ في ذلك المكان الهام بالنسبة إلى السابق عبثاً ولو حظيت بتنقيب عالم أثري في الحصن

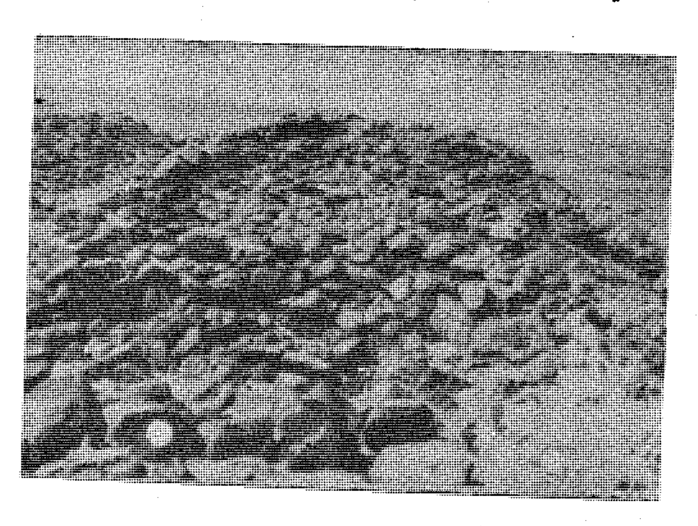


(منظر عام لموضع مهد الحصون فى ١٣٨٣/١٢/٢٦)

الرئيسي الذي يحتفظ ببعض شكله والذي غرفه مردومة بالأتربة لوجد ما يضيء الطريق وينير السبيل عن صفحة من الماضي ربما تلقي إشعاعاً على ماهو مهم من تأريخ المنطقة .

وقد عثرنا على حجر مكتوب بالنقش السَّبَئِيِّ قد كسر منه جانبٌ ويرى القارىء الكريم بهذا صورة الحجر وبعض مناظر من الحصن .

وقد أخذنا صورة شمسية للحصن من الناحية الشمالية الغربية ،ومن الجهة الغربية إلا أن الصورة غير واضحة المعالم ... بخلاف المشاهدة العيانية التي تظهر خلالها معالم الحصن ومبانيه واضحة بعضها قد ردم



« منظر لجانب من أحد الحصون المعروفة بمهد الحصون »
فى وادى خلب ١٣٨٣/١٢/٢٦ هـ »

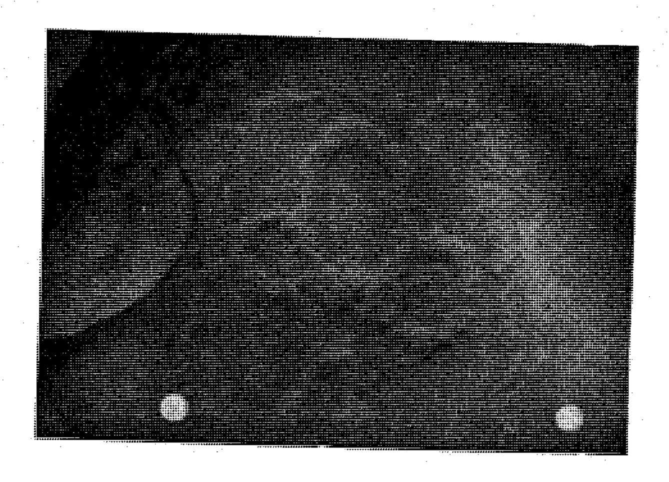
بالأنقاض والبعض دفن بالأتربة ، ولو أزيلت الأنقاض ونبشت الأتربة لظهرت بعض الغرف سليمة أو قريبة من السليمة .

ويعتقد البعض أن تلك الحصون هي بقايا بلدة الدامغ وهناك من المشايخ من يقول بأنه كان إلى عام ١٣٤٤هـ شجر من أشجار الدوم يسمى (دوم الدامغ)[1] وهي روايات فردية ، ونخال أن تلك الحصون كما أسلفنا قديمة العهد :

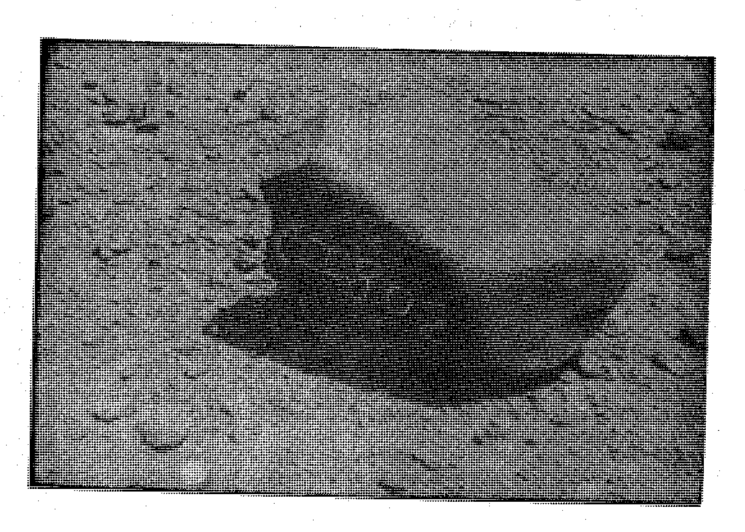


« منظر جانبي من أحد قصور الموقع المعروف بمهد الحصون فى ١٣٨٢/١٢/٢٦هـ »

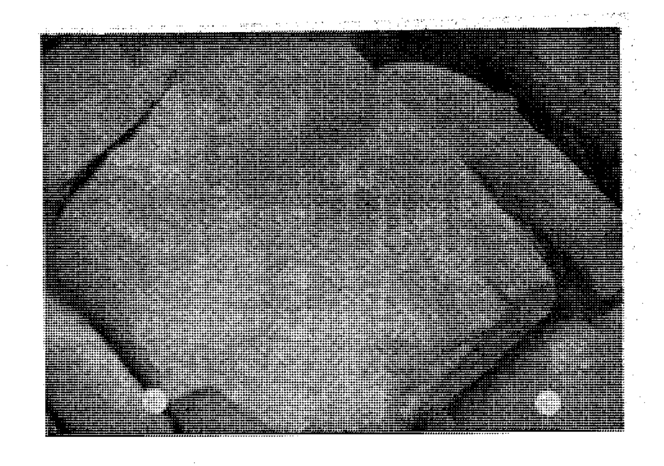
(١) الدامغ : قرية أثرية وستجدها فى الصفحات التالية .



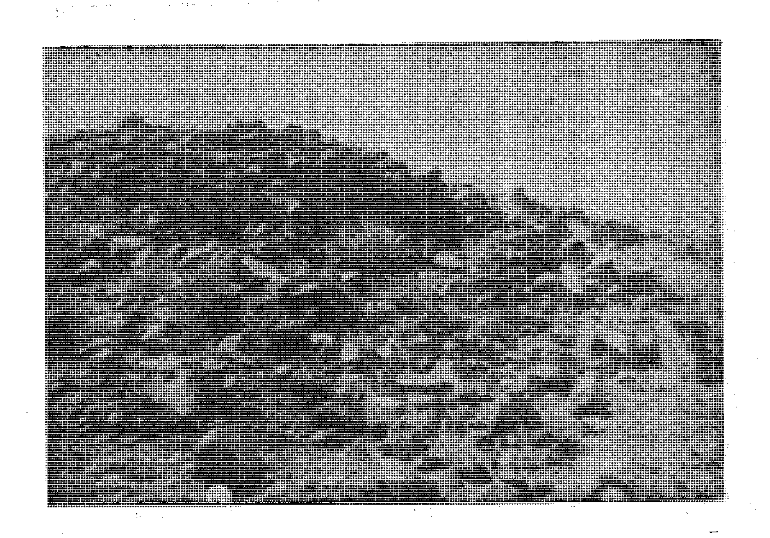
« صورة لحجر فى جهة مهد الحصون ١٣٨٣/١٢/٢٦ هـ »



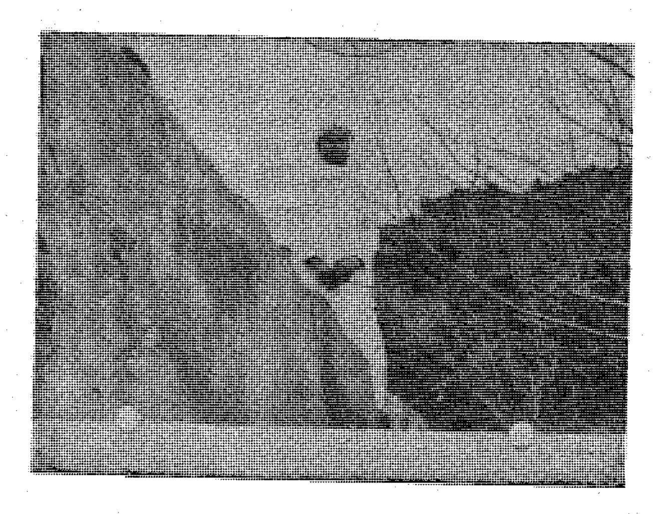
صورة « نقش أثرى فى جهة مهد الحصون والنقش على حجر ملقى على الأرض فى ١٣٨٣/١٢/٢٦ هـ » .



« حجر عليه نقش فى جهة مهد الحصون »
« فى ١٣٨٣/١٢/٢٦ هـ »



(اطلال حصن أثرى من حصون الموقع المعروف بمهد الحصون)



(صورة المؤلف واقفاً عند الحجر الأثرى بمهد الحصون)

في جزيرة فرسان

كشف أثرى هام فى جزيرة فرسان

في شهر صفر ١٣٩٦ توجه سعادة أمير جازان الشيخ محمد ابن تركي السديري في رحلة تفقدية لجزيرة فرسان التي تبعد عن مدينة جازان بخمسين ميلا بحرياً .

وفي أثناء تجواله بين معالم الجزيرة لفت نظره اطلال متناثرة في موقع من مواقع الجزيرة فأخذ يدقق بين تلك الآثار الداثرة فرأى بعض النقوش على عمودين حجرين كما وجد قريبا منهما تمثالاً من الفخار لساق وقدم أرسله إلى إدارة الآثار بوزارة المعارف.. وبعلمي ذلك من سعادته التمسته بأن يتفضل بتسهيل رحلة للنادي الأدبي بجازان لمشاهدة تلك الآثار والنقوش القديمة ولأيٍّ عهد تعود .

فتفضل مشكوراً وأمر بتهيئة الرحلة والواسطة ، وأن يرافقنا أمير فرسان ، وكان من زملاء الرحلة الأساتذة محمد السنوسي ومحمد زارع وعبد الحميد بديوي وعبد العزيز الهويدي .

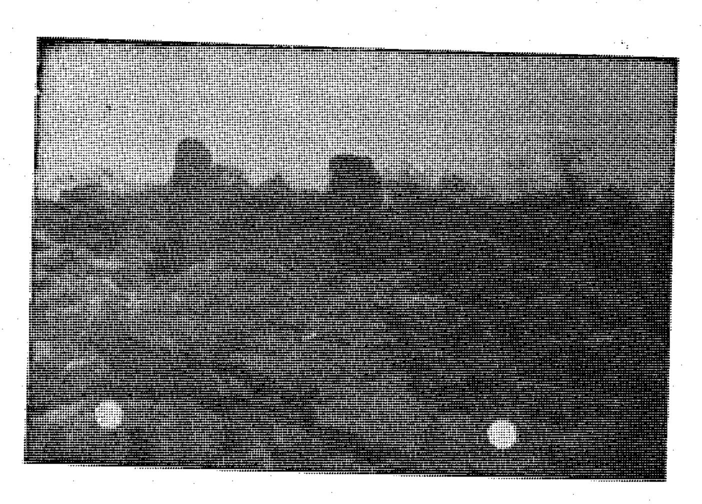
« جــزيــرة فــرســـــان »

راجع كتابنا المعجم الجغرافي حرف الجيم مادة جزيرة — ما كتبناه عنها تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً .

الآثـــــــار :

بجولتي في الأطلال الأثرية وجدتها تتألف من شبه معبد قديم والباقي منه بوابة رئيسية يميزها عمودان حجريان الظاهر منهما على وجه الأرض متر ونصف على كل عمود نقش سَبَئِيٌّ قد أتت عوامل التعرية وتطاول الزمن عليها ولم يبق منها إلا رسوم قليلة الوضوح تحتاج في قراءتها إلى التمعن والتدقيق الشديد ومن داخل البوابة غرفة وصالة .

وقد جُلْتُ بين الأطلال مدة ساعتين باحثاً ومدققاً فلم أعثر إلا على تمثال بدائي لوجه إنسان وهو الذي أخبرني عنه سعادة أمير جازان .



« صورة عمودى بوابة المعبد »

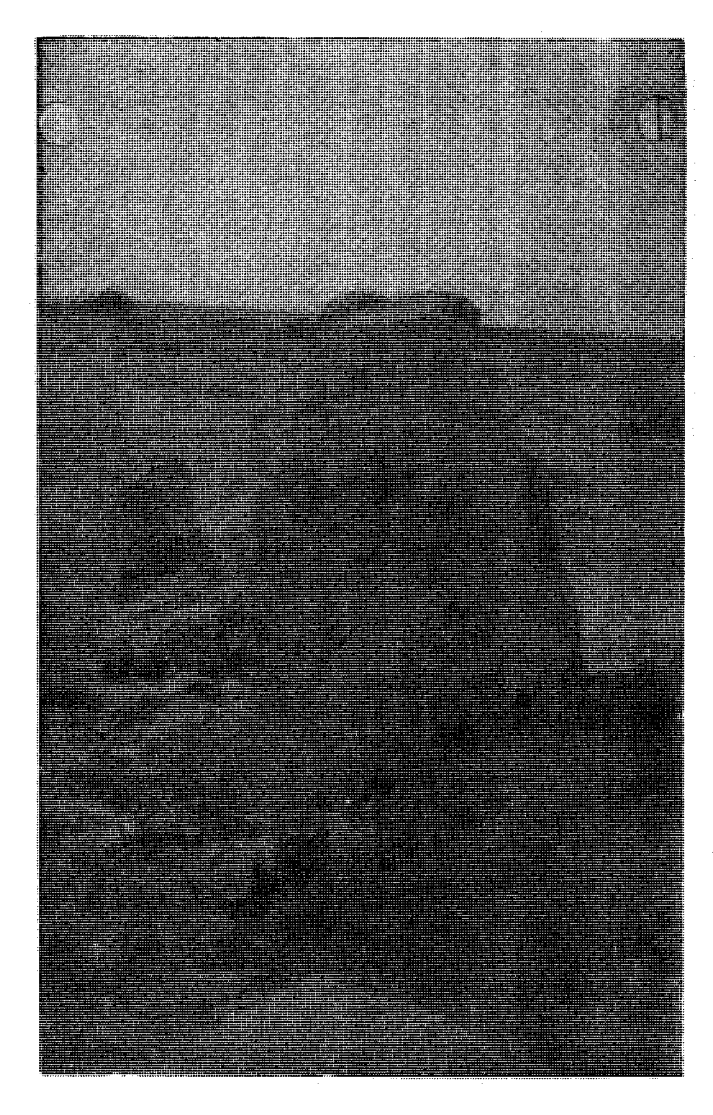
ويجد القارىء صوراً لتلك الأطلال. وتوجد مبانٍ أخرى تبعد عن الأطلال السبعة بعشرة أمتاراً تقريباً كأنها ملحقة بالمعبد.

وبعد ذلك أخبرني أمير فرسان أنه توجد مقبرة تبعد عن الأطلال جنوباً بثلاثة أو أربعة أكيال بعيدة عن العمران .. فوصلت إليها وبتجوالي في أرجائها اتضح لي أن هناك آثار مساكن داثرة قريبة من المقبرة .. وبالبحث وجدت في تلك المقبرة قبراً في وسطها عليه سياج من الحجر والجبس يلاصقه قبران على صفته عن يمينه وشماله وفى رأس القبر عثرت على شاهد قد قلع — بدون شك من القبر — والشاهد حجر غير منحوت وعليه كتابة عربية محفورة غير واضحة لتقادم عهدها ، وإنما يستطيع المتمعن قراءات بعضها . وعلى بعد كيلٍ منها مقبرة أخرى أقل مساحة من الأولى وعليها شواهد بدون كتابة .؟

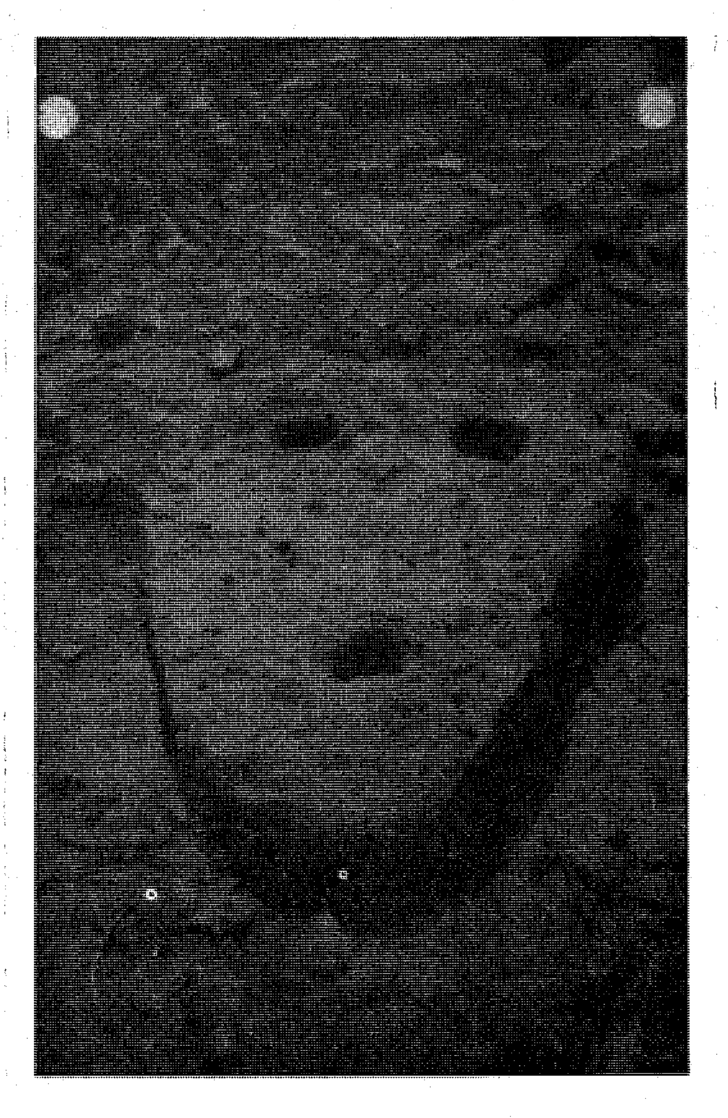
« ربيع الأول ١٣٩٦ »



« صورة العمود الأيمن »



« العمود الأيسر للبوابة »



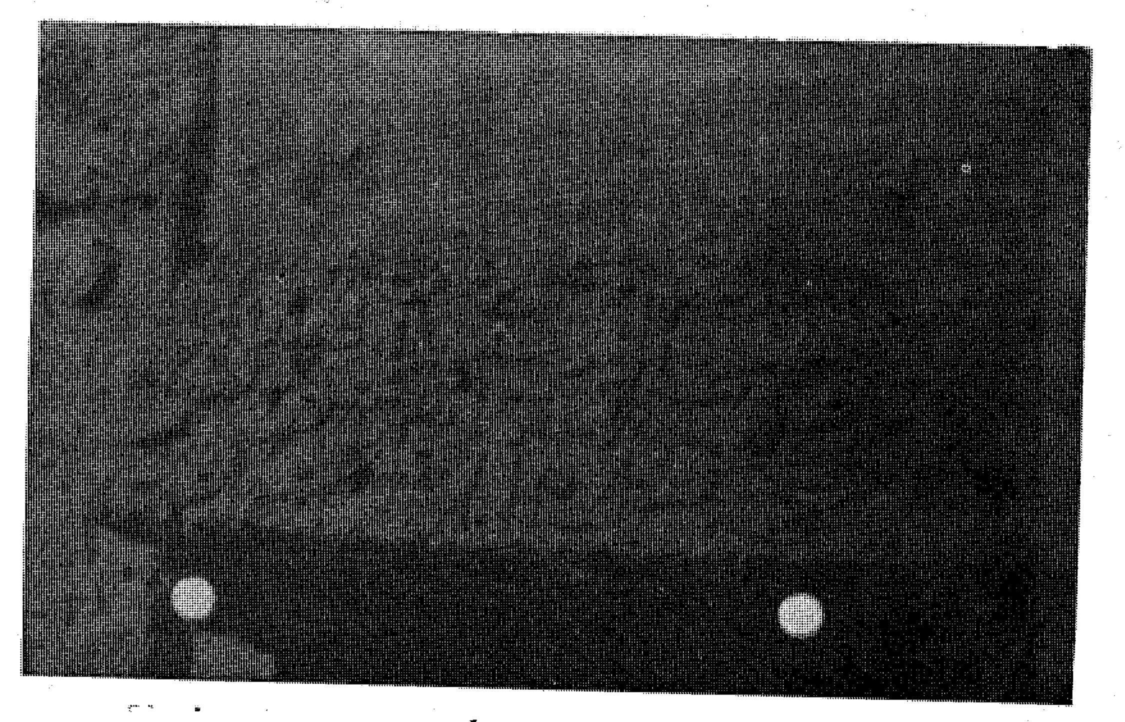
« حجر يمثل وجه إنسان »

مَسْجِدُ أبي عريش

مسجد تطالعه وأنت داخل مدينة أبي عريش تعلوه صفان من القباب ومئْذَنَة صغيرة في ركنه الجنوب الشرقي، فيستثير تساؤلك بوقار القدم وجلال الخشوع وهبوط المكان عن مستوى الأرض فتندفع تسأل : من بنى هذا المسجد؟ فتجد الجواب أنه حمود أبو مسمار .

إن هذا المسجد يعد من العمر مائة وخمسين سنة وهي طويلة في أعمار الإنسان ، قصيرة في عمر الأمم والزمان ، ولا زال المسجد محتفظاً بشكله متماسك البنيان قوي الأركان ، ولا ينقصه إلا بعض طلاء جوانبه وإزاحة الأتربة من صحنه وحوله .





« شاهد قبر في مقبرة جنوب فَرسان »



(مسجد أبي عريش)



منظر من مسجد أبي عريش

قلعة مدينة جازان

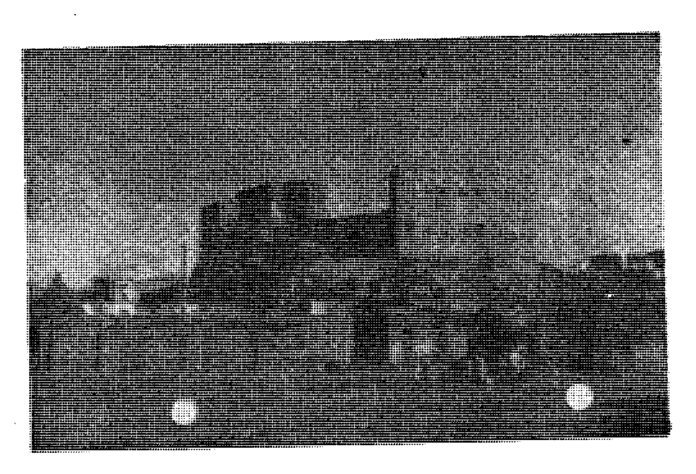
تعرف في وقتنا الحاضر بقلعة اللاسلكي ـ لأن الحكومة وضعت بها آلة لاسلكي من أول عهدها وقد ظلّتْ كذلك إلى سنة ١٣٧٧ هـ تقريباً ثم رؤى نقلها إلى مكان آخر هذه القلعة من الأماكن التاريخية التي عاشرت أحداث مدينة جازان وعاشت حوادثها منذ ما يقارب مائتي سنة .

فيذكر صاحب كتاب « نفح العود » أن حمود أبا مسمار عمرها في سنة ١٢٢٥ وقد تكون موجودة وجدد هو عمرانها لأنه في نفس تلك السنة غزتها كتيبة من جيش طامي بن شعيب فاستأصلت حاميتها جميعهم . . وكانت مقر غير واحد من حكام الأتراك وغيرهم وسكنها مصطفى الإدريسى ـ إبان حكم الأدارسة ـ بنى بها غرفة جديدة لا تزال موجودة ، أما الإمام على الإدريسى فقد جعلها مقر حكومته ومجلس إدارته . .

وفى العهد السعودي جعل قسم منها مركزاً للاسلكي كما سبقت الإشارة وفي فتنة عام ١٣٥١ اعتصمت بها حامية الحكومة وبعد عودة الأمن والاستقرار بقيت مركزاً للاسلكي ومقراً لكتيبة من

الجيش ويظهر أن القلعة بنيت على آثار قلعة قديمة لأنه لا يزال يوجد من الناحية الغربية آثار بناء واضحة وعقد لباب أثري يؤدي إلى المباني الأثرية التي تحت القلعة .

١٥/١٠/١٣٨٥ هـ



« صورة لقلعة لاسلكى جيزان أخذت فى ١٩/١٠/١٣٩٥ »

مدينة الشَّرْجَة

بفتح الشين المعجمة المثقلة وسكون الراء المهملة بعدها جيم وآخرها هاء النسوة : مدينة نعتها عمارة بأنها من المدن التي على الطريق الساحلي وتعرف في كتب التأريخ بشرجة (حرض) تمييزاً لها عن عدد من البلدان في جنوب الجزيرة تعرف بالشرجة ، وتضاف إلى المدينة أو الجهة القريبة منها — راجع بحثنا المنشور في مجلة العرب الغراء المجلد الأول (ص ٨٠٩ إلى ٨١٦) ربيع الأول سنة ١٣٨٧

الشرجـــــة فى كتب الجغرافيين العرب

١ — ذكرها الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » ص ٥٢ باسم الشرجة فرضة بلاد حكم وفي ص ١١٨ في محجة . مكة — عدن — فقال : المهجم ، بلحة ، الحسارة ، العبابة ، الشرجة ، عـــثر . . .

٢ — أورد اسمها عمارة في مفيده في الطريق الساحلي فقال « الحردة[1] ، الزرعة ، الشرجة ، المفجر ، القنيدر ، عثر .

٣ — ذكرها بن بطوطة في رحلته المعروفة .

(١) الحردة : قرية كانت فى ساحل وادى سردد أما (الزرعة فغير معروفة) فى وقتنا الحاضر .. وبعدها أورد اسم مدينة الشرجة ، وجاء بعد اسم المغجر وهو أيضاً غير معروف أما (القنيدر) فستجده فى الصفحات التالية.

٤ — ذكرها العذري في رحلته .

٥ — ذكرها صاحب «العقيق اليماني» مخطوط في حوادث سنة ٨١١ ونسب إليها شيخ النحاة بـ « تهامة » أحمد بن عبد اللطيف الشرجي .

٦ — ذكر اسمها المؤرخ حسين الأهدل في كتابه « تحفة الزمن » — مخطوط في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي وأن ابنه عبد الأول توفي بشرجة حرض .

« الشرجـــــة فى أدب المنطقـــة »

ورد في ديوان الشاعر المواطن القاسم بن علي بن هتيمل — القرن السابع الهجري قطعة شعرية رائعة بعنوان: وقال يمدح الرئيس محمد بن موسى صاحب شرجة حرض :

يعاتبكم فمـــا نفع العتـــاب
ويسألكم وليس له جــواب
ويرجـــو في محبتكم ثوابـــاً
وما لتلاف مهجتـــه إثـــواب
وليس يتوب من ولـــه وحب
وهيهـــات التسلّي والمتـــاب
أمرهفة الموشح إغـــاب قلبي
لديك وما لغيبتـــه إيـــاب

أأنكر بعد معرفتي طلولا
تحكم في عمارتها الخراب
وما عهدي بها عَهْدٌ ذميم
فينبو الركب عنها والركاب
حياة المرء صحته ووصل الـ
أحبَّةِ والكفاية والشباب
سمت بـ « محمد » العلم بن موسى
معالى لا تشيب ولا تشاب
هو العضب الحسام إذا شهدنا
به الهيجاء ، والبحر العباب
أغر هباته الآلاف نقداً
ورقم الوشْى والخيل العراب
وما ينفك عنه كل يوم
طعام أو طعان أو خراب

ويظهر أن رئيسها من السؤدد والرياسة بحيث تقصده الشعراء وترحل إليه العفاة .

« الشرجة وقيمتها الأثرية »

الشرجة كمدينة أثرية نعتها عمارة في مفيده بأنها مدينة ضمن المدن الساحلية وأن بها جامع ، والجامع لا يكون إلا في مدينة ، ثم إنها فُرْضَةُ بلاد حكم ـ الميناء الرئيسي ـ وناهيك بما يجلب إلى الميناء

الرئيسي ويصدر منه . ومدينة كهذه عاشت منذ نشأتها التي لا يعرف تاريخها وقد يكون من العصر الجاهلى ، أو قبل ذلك من عصر تجارة اليونان في البحر الأحمر وبنائهم بعض المستعمرات على شواطئه لإصلاح سفنهم وتزويدها بالماء والطعام ، وما بعد ذلك من العهد الروماني . فإن مدينة كميناء طبيعي لمنطقة حيوية لا أخال أنـهـا بنيت بين عشية وضحاها .

يضاف إلى أهميتها أنها مدينة على الطريق الساحلية للقوافل بين عدن ـ مكة ـ الشام ـ عاشت منذ نشأتها إلى أن دثرت في القرن الثامن أو التاسع .

وإنصافاً لمجهود أخ عزيز رجوته القيام ببعض التحريات إبان كان موظفاً في محكمة الموسم وهو الأستاذ الأخ علي العمير .. نورد ما جاء منه .

سيدي وأستاذى الجليل الشيخ محمد بن أحمد عيسى العقيلي المحترم

تحية وتقدير ..

تجدون طيه تفصيلا كاملا لما وجدته باقياً من آثار الشرجة ، وقد راعيت فى ذلك الحقائق الثابتة كل المراعاة ، وكلما أرجو أن تحوز رضاكم ، وما هو الواقع قد حرر به بما هو طياً بهذا ، .

وختاماً لكم أحر تحياتي . .   ١٣٧٩/٢/١٢ هـ

محبكم المخلص : على محمد عمير

« حقائق عن آثــــار الشرجة الموجودة حاليــاً »

١ — توجد مقبرة واسعة المساحة واضحة المعالم كل ما فيها يدل على أنها مقبرة :

٢ — يوجد شمالا أكثر منه إلى الغرب في السبخة بالنسبة إلى المقبرة المذكورة آثار تدل على أنه كانت في ذلك الموضع بالذات عمارات من الحجر ، وأكثر ما يسترعي الانتباه في هذا الموضع هو أنه نتيجة للحفر والتنقيب وراء الحجارة بقصد نقلها إلى المركز والتعمير بها ، بقيت الحفر واضحة لغزرها في الأرض وهي تشكل مربعا لمساحة بيت ، بحيث أن الحفرة تدل على ذلك لأن المقصود من وراء الحفر هو أخذ البيت الذي هو من الحجر طبعاً ، ولا تزال الحجارة موجودة متناثرة في ذلك الموضع .. وبالقرب من الموضع قبله .. يوجد موضع آخر بنفس الصفة حيث تدل الحفريات الموجودة حالياً على أن تلك الحفر بشكلها المربع إنما أخذ منها حجر الأساس للبيوت .

٣ — يوجد بالقرب من البحر خور مستطيل مرتفع من الرمل الأبيض ، يلفظ فيه البحر من الجهة الغربية بحيث نجم عن ذلك حرف استرعى انتباهي مافي جانبه من آثار الجص والحجر ، ومن نتيجة تنقيبي في ذلك الحرف لفت نظري وجود حجر كبير فأمرت من

معي بالحفر في جانبها فظهر لي وجود حجر بجانب تلك الحجره مما قد يدل على أن تلك الأحجار أسس بيت دفنته الرمال لأن الأحجار مرصوصة بانتظام .

٤ — توجد أحجار متناثرة على القوز المذكور ولكنها لا يدل على شيء .

٥ — ذهبت ومن معي إلى الموضع الذي كانت فيه آثار مسجد واضحة بغية لما يقال ولكن مع الأسف ، أخذت الأحجار التي يدل وجودها على المسجد ولم يبق من الآثار ما يمكن أن نستدل به على وجود مسجد .

٦ — ذهبت إلى موضع في الجهة الشرقية بالنسبة إلى القوز الرملي المذكور آنفاً وبجانبه تماماً .. قال مرافقي : إنه فيما مضى كان يوجد بهذا الموضع آثار مسجد كبير واضحة ولكن مع مرور الأيام وتراكم الرمال انطمست معالمه .

٧ — في كل موضع من المواضع المذكورة كنت أجد أشلاء مكسرة من أواني الماء المصنوعة من الطين والتي نسميها — الآن — (الجرار) .

ومما لا شك فيه أن ذلك القوز الرملي لابد أنه قد دفن آثاراً كثيرة نظراً لوجود كثرة الأحجار المتناثرة عليه ولما وجدته به وأشرت إليه آنفاً في المادة ٤ .

٨ — من الأقوال المتواترة ممن أعرف فيهم الثقة أنه كان يوجد شرق القوز الرملي خور دفنته السيول بالطين والعجيب أن الموضعين المذكورين في المادتين ٢ ، ٣ والمقبرة المذكورة من المادة ٣ يبعد عنها القوز الرملى كثيراً وأن الموضعين ليسامتصلين بذلك القوز نظراً لوجود مسافة بعيدة بينهما وبين القوز ومما يذكر أن هناك آثار بعيدة أخرى في الجهة الجنوبية بعيدة عن المقبرة الأولى ٠

١٣٧٩/٢/١٢ هـ

قرية الدامغ

قرية من قرى المخلاف السليماني ، لا يعرف على وجه التحقيق مكانها ما عدا ما سبق بهذا البحث على سبيل الرواية ليس إلا ، وكل ما وقفنا عليه عن تلك القرية في كتب تأريخ المنطقة هو فيما يأتي :

١ – جاء في كتابنا المخلاف السليماني ص ٤٣٢ ج ٢ نقلا عن كتاب خلاصة العسجد – « خرج الأمير حوذان من أبي عريش على رأس حشوده لصد جيش من أخيه محمد بن أحمد من مرتزقة يام الذين قدم بهم من نجران إلى (حرض) ووالى حوذان سيره حتى خيم في قرية (الدامغ) وعندما علم خصمه تقدم هو بدوره من حرض ودخل قرية (البدوي) .

٢ – وجاء في المصدر نفسه ص ٤٣٧ ج ١ في حوادث سنة ١١٦٤ أن الثائر المدعو أبا علامة بعث سرية إلى المخلاف السليماني فوصلت إلى قرية الدامغ فطردها الرئيس « أحمد القطبي » .

فإذا أخذنا بنص ما جاء في المادتين من أن الدامغ هي قرية

فالقرية بطبيعة الحال تكون مجموعة من الحصون — راجع قبله ما أوردناه عن مَهَدْ الحصون .

وإذا صح أن قرية الدامغ هي قريبة من موقع مهد الحصون أو حولها فيترجح أن قرية الدامغ أسست قرب تلك الحصون لا العكس

وعلى كل فإن هذا رأي نراه وفرض نفترضه حتى يظهر ما يؤيده أو ينفيه .

مدينة العالية

من العلو — ذكرها صاحب كتاب« العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني » — مخطوط — باسم مدينة العالية على وادي خلب في حوادث سنة ٩٢٤ فى أخبار الأمير المهدي وأنه بعد المعركة التى دارت بينه وبين أمير حلي في العوائر بأعلى وادي صبيا انسحب الأمير المهدي إلى مدينة العالية بوادي خلب .

كما ذكرها في موضع آخر عندما ذكر وفاة القاضي « العقيبي » فأشار أنه تولى القضاء في مدينة العالية .

« تحقيق عن المدينة »

لازلت أقوم بالتحريات والبحث حتى بعون الله .. تم العثور على موقع المدينة ، ولا تزال آثارها واضحة للعيان كما توجد بعض بنايات من حوانيت سوقها .

وقد نبت على موقع المدينة أشجار السلم وغيره كما أنه يوجد في المكان آثار مسجد وبئر تعرف باسم العالية إلى هذا التأريخ .

فى ١٣٨٦/١٢/٥ هـ

بَلدةُ الراحةِ

وقد تضاف فيقال راحة المؤيد ـــ ذكرها ابن المجاور في رحلته المعروفة ، . لقد كانت بلدة الراحة أعرق مدن بيش ومركز إمارتها ، وقد تكون بلدة « أم الخشب » عمرت بعد خراب الراحة . أما موقع مدينة الراحة فهو قريب من أم الخشب ، ويوجد الآن أرض زراعية في موقعها يعرف باسم (الراحة) .. ونخال أن ذلك المكان هو موقع المدينة القديمة .

في بلاد الحرث

في جهة من جهات بلاد الْحُرَّث حجر مدفون لم يبق منه ظاهراً على وجه الأرض إلا نحو متر ونصف المتر تقريباً ، ويطلق على ذلك الحجر اسم الْمُرْتَزَّة ، وكلمة المرتزة في لهجة جهتنا : تؤدي معنى المرتكزة ، وارتز الشخص في مكان أي وقف في ثبات أو جلس متمكناً(١) .

وقد قيل لي الكثير عن وصفها وأن عليها كتابة عبثت بها يد بعض من لا يعرف أهمية النقوش الأثرية... فأحْبَبْتُ أن أكتشف الأمر بنفسي فتوجهت إلى ذلك المكان في ١٠/٦/١٣٨٦ وشاهدت الحجر وفحصته فحصاً دقيقاً وقست الظاهر من فوق وجه الأرض فإذا هو نحو ماذكر أعلاه .

ويترجح لدى أن ذلك الحجر المنحوت كان «مسلة» أو نصباً تذكارياً قديماً نصب في ذلك المكان ونقش عليه . . الأمر الذي

---

(١) أما لغة : فكلمة رز من باب رد ، يقال وقع السهم فى الأرض فارتز ثم اهتز .

ستدعى التخليد ومع تمادي الأحقاب ارتفعت الأرض حوله فلم يبق ظاهراً إلا ذلك القدر . أما النقش فقد عبثت به الأيدى الجاهلة وما لم يطمس فقد شوه أو محي ، وإنما ما كان مطموراً منه لا شك أنه لم تنله الأيدي العابثة .

ويا حبذا لو عنيت الجهة المختصة باستخراج ذلك الأثر ودرسه ونقله إلى حيث يمكن حفظه والاستفادة منه كأثر تاريخي .

بلدة القنيدر

بلدة ذكرها عمارة في جادة عدن إلى مكة وأورد اسمها بعد أن
عدد أسماء البلدان التي قبلها قال ... الحردة – الزرعة – الشرجة –
المفجر – القنيدر ، عثر ..

ونعرف من كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني بأن الحردة
في ساحل وادي سردود أما الزرعة فغير معروفة والشرجة هي
المدينة المعروفة التي سبق ذكرها ...

أما المفجر فنخال أنه حول قرية (المرابي) حالياً .. وبعد ذلك
يأتي اسم القنيدر ، وبعد البحث والاستقراء اكتشفنا موضع قرب
قرية (مزهرة) من بلاد الحكامية يعرف بـ « الكنيدر » .. وقد
غمرته كثبان الرمال وتدل الآثار على أن موقعه موقع بلدة قد دثرت
ويؤيد هذا الشائع بين المعمرين من أهل قرية مزهرة من أن الكنيدر
كان بلدة في السابق

أما إبدال القاف كافاً والعكس فهو معروف في اللغة العربية

ويؤكد أن الكثب هو موقع بلدة القنيدر مسافة المراحل فمن
الشرجة إلى المفجر مرحلة ومنه إلى القنيدر مرحلة ومنه إلى عثر مرحلة.

ومعروف عند أهل قرية مزهرة أنه مع اشتداد العواصف تظهر
كسر الفخار والأجر وغير ذلك ..

مدينة ضنكان

مدينة أثرية وقد ذكرها غير واحد من الرحالة العرب والمؤرخين وظللت وقتاً أبحث وأتحرى وأفتش بغية العثور على مكانها حتى اكتشفت مؤخراً موقعها في وادي ضنكان شمال شرق القحمة وهي قد دثرت ولم يبق إلا أطلالها ..

أشياءُ أثريّة
أُهديتْ إلى (جمعية الآثار)

(١) نقـــود :

وصلني صديق بنحو سبعين قطعة من عملة نحاسية قديمة فشكرته ... وبعد فحصي العملة اتضح أنها عملة إسلامية من العهد الفاطمي .. وبسؤاله أين وجدتها ؟ قال عثرت عليها في جهة (زمزم) من قرى الموسم – صدفة – .. ، خرجت في أمر لي وعند وصولي إلى المكان لفت نظري شيء أبرزت بعضه الريح الشديدة التي هبت قبل يومين من ذلك التاريخ ، فأزحت التراب عن باقيه فإذا هو يتفتت من لمس يدي وتناثرت منه « هذه العملة » وبعلمي باهتمامك بمثل هذه الأشياء وصلت بها إليك .

فأخذتها منه وكنت في حالة أهبه للسفر إلى الرياض وبصفتي عضواً في جمعية التاريخ والآثار في جامعة الرياض فقـــد قدمتها هدية لمتحف الجمعية بالجامعة في ربيع الأولى سنة ١٣٧٣هـ ؛

(٢) بوق مصنوع من قرن وعـــل ودرع تاريخي :

في العصور السالفة كانت قبائل جهتنا الشرقية في القسم الجبلي تستعمل البوق لاستدعاء القبائل للحرب ، وهذا البوق ليس مصنوعاً من الحديد أو النحاس بل مصنوع من قرن الوعل ، يصوت فيه عند الخطر أو طلب حضور القبائل فيسمع من نحو خمسة عشر كيلا وفي العهد السعودى الزاهر وما تتمتع به البلاد من الأمن أصبحت مثل تلك الأدوات نادرة جداً .. بل منذ نحو أربعين سنة لا يعرف عنها شيء إلا عند أناس على عدد الأصابع يحتفظون بها مع بعض الأسلحة القديمة مثل الدروع وغيرها ..

وقد تحصلت بعد البحث المضني على (بوق) أثري ودرع قديمة ومحافظة مني على تراثنا التاريخي فقد أهديتهما إلى جمعية التاريخ بالرياض[١] ، وقد تلقيت خطاب الآتي في الحاشية :

---

(١) سيادة الشيخ محمد بن أحمد العقيلي عضو شرف جمعية التأريخ والآثار المحترم .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . تلقينا خطابكم المؤرخ ٩١/١٠/٣ وبرفقه الأعيان الأثرية التى قدمتموها لجمعية التأريخ والآثار ، وهى بوق من قرن حيوان ودرع قديم ، ونسخة من كتابكم ديوان الأنعام المضيئة .
وعليه يسرنا أن نقدم لكم شكرنا الجزيل ، وامتناننا العظيم على الهدايا القيمة التى ستأخذ مكانها فى متحف الجمعية ، لتكون رمزاً خالداً لتعاونكم مع الجمعية ، وتقديركم لأهدافها على الدوام .
وختاماً لكم أطيب تمنياتى ، وفائق تحياتى .

عميد كلية الآداب ورئيس جمعية التأريخ والآثار

د . عبد الرحمن الطيب الأنصارى

(٣) مبخـــر أثـــرى :

أهداني صديق كريم مبخر قديم من المباخر التي تستعمل للبخور والعود قائلا : إنه وجده عامل له يعمل في حرث أرض بجهة القفل من أعمال صامطة .

فشكرته على هديته وأهديتها بدوري إلى متحف جمعية التاريخ والآثار بجامعة الرياض في سنة ١٣٧٣ هـ (١) .

---

(١) وقد تلقيت من وكيل كلية الآداب ورئيس الجمعية الخطاب الآتى :

سيادة الأستاذ محمد بن أحمد العقيلى عضو جمعية التأريخ والآثار .. المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : تلقينا رسالتكم وكذلك الهدية الأثرية التى قدمتموها للمتحف وهى عبارة عن مبخرة فخارية . وعليه يسرنا أن نشكر لكم هديتكم القيمة ، مقدرين اهتمامكم فيما يتعلق بالآثار وهو ما كنا نتوقعه منكم على الدوام .

ولكم فايق تحياتى . .

وكيل كلية الآداب
ورئيس جمعية التأريخ والآثار
د . عبد الرحمن الطيب الأنصارى

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

فهرس الصور

صفحة

صفحة

مطبعة نهضة مصر